إلى القارئ

قضـــايـــا التـــدبـــر

بقلم : البشير بن سلامة

إن الاحداث التى عرفتها تونس فى أوائل شهر جـانفى 1984 كانت مجـالا فسيحا للتعاليق الصحفية الوطنية والاجنبية وفرصة ثمينة للسياسين وغير السياسيين لاستخلاص العبر على حسب الاتجاهـات والغايـات وانطلاقـا من قناعات قد تصمد أمام محك الفكر والتمييز الثاقب وقد تتهـافت سطحيـة أو تحاملا أو تواطؤا أو حقدا أو جريا وراء سراب من الاوهام والترهات .

ولكن ما حدث فى تونس مما قد يسميه المؤرخون بـ « فتنة الخبز » يحتاج الى تحليل عميـق لا من السيـاسين والصحفيين فقط بـل من الـدارسين والباحثين والعلماء الذين ينطلقون من واقع الامور على حسب اختصاصاتهم فى الاقتصاد والاجتماع والظواهر العاملة فى سلوك المجتمعات والشعوب .

وليس من الطبيعى فى مثل هذه الظروف أن يسكت المثقف المؤمن بشرف الكلمة والمعبر عن أتواق شعبه وأشواقه والمتفـاعل مع آمـال أمته وآلامهـا ويترك المجال فسيحا لغيره فلا يحرك ساكنا ولا يندفع الى المشاركة بالتحليل والدرس أو بالرأى والخاطرة فى قضايا هى فى صلب مصير المجتمع الـذى ينتسب اليه وهى أساسا المكيفة لمستقبل البلد الذى سيكتنف أبناءه وأحفاده فى العقود الآتية .

وإن ما سأثيره فى هذه الصفحات القليلة إنما هو دعوة الى المساهمة فى حوار يجب أن يلتئم بين من يانسون فى أنفسهم القدرة على التحليل والدرس لا دافع يدفعهم الا البحث عن الحقيقة ولا رائد لهم الا محبة هذا الوطن لا تحركهم الشعارات مهما كانت خلابة ولا يغريهم بريق الايديلوجيات مهما قوي تاثيرها ولا تلقي بهم التبعيات الفكرية فى متاهات الزيف والباطل وإن غلفت بغلاف الحقيقة والواقع ولا تعصف بهم الاهواء والانواء وإن اشتدت وعنفت ، ديدنهم الاصداع بالرأى النزيه وشيمتهم الاخلاص للقيم والمبادىء .

وأول قضية أريد إثارتها هى مسالة المسار الديمقراطى الذى لم ينفك يتحدث عنه كل متحدث ويتحمس له كل متحمس فى بلادنا وهو أساسا ما عملت على إرسائه حكومة المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبه وقد مضى أشواطا فى تثبيته الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول وحقق منه ما لا يمكن أن ينكره منكر ولا يجحده جاحد . ولكن الذى يعجب له كل من محص الرأى وميزه ويستغربه أشد الاستغراب هو أن الكثير من الذين يؤمنون بجدوى المسار الديمقراطى قولا وعقيدة لم يكن سلوكهم المنطقى متجها دائما الى مساندة من أوكل اليه رئيس الدولة ترسيخ هذا المسار وتركيزه بل إن كل الدلائل والعلامات والحركات الخفية والبارزة نتيجتها الحتمية عن سوء نية أو سلامة قصد هى السعى الى الاطاحة بمن كرس جهده ووهب عمره لخدمة هذا الهدف النبيل وتحقيقه .

هذا سؤال يحتاج الجواب عنه الى استعراض أنواع من هذا السلوك الفردى أو الجماعى يستشفه كل ملاحظ نزيه من الاقتراحات والمبادرات المؤدية حتما الى تقويض كل بناء ديمقراطى فى البلاد وتهديم كل المكاسب التى حصل عليها هذا الشعب بالتضحيات الجسام .

وإن أفظع نوع من أنواع هذا السلوك هو تجويز العنف أو السكوت عنه أو تغذيته بصورة من الصور ، بدءا بالعنف الكلامى الوقع «الموشح» بـ «السب» والشتم والثلب وكل ألوان التهور الى العنف المادى الذى يهلك الحرث والنسل.

وفى هذا المجال دراسات عديدة تحلل عواقب العنف وويلاته (دراسة الاستاذ محمد مزالى عن العنف فى هذا العدد تبين بيانا عميقا أسباب هذه الآفة ومظاهرها) وتنبه الى الاخطار التى تنجر عن ممارسة العنف مهما كانت وتاريخ البشرية « حافل » بما أصاب الشعوب من الحروب الاهلية والانظمة الدكتاتورية نتيجة لتوخي العنف كوسيلة من وسائل الكفاح (إلا فيما يتعلق بالكفاح التحريرى وإزاحة سلطة الاجنبى والدفاع عن الكيان) .

ولكن الذى يغيب عن الاذهان حتى المتيقظة منها هو أن العنف لا ياتى عفوا وإنما له أسباب وجذور تبدأ من البيئة الاولى الى المدرسة الى الحياة العامة وتزرع البذور فى أناة وبأساليب لا يتفطن الى خطورتها حتى أصحابها وهى بمثابة العصا الراجعة (Boomrang) التى لا تبقي ولا تذر . والعنف سبب من أسباب الخراب الذى لا تنفع معه المشاريع الاقتصادية الناجعة ولا السياسية الاجتماعية والثقافية الحكيمة وما ينتج عنها من قوانين وضمانات وبرامج تثقيفية وهو أساسا يقوض كل سعى للاخذ بيد الضعفاء والمسحوقين ويترك الفرصة لكل مغامر للقبض على السلطة مستندا الى فئة ما ومعمقا بذلك الفوارق فتتقلص العدالة المرجوة والحرية المأمولة وتصبح النجاة بالنفس هى الغاية القصوى .

وهكذا نرى أن القضية الكبرى التى يجب أن نوليها الاولوية هى ظاهرة العنف وما يترتب على ذلك من مراجعة لسياستنا التربوية حتى تكون الى جانب تلقين المعارف ميدانا فسيحا لزرع القيم فى نفوس الناشئة سواء كانت قيما اسلامية سمحة بلا تعصب مقيت ولا انغلاق مشين أو قيما ثقافية ارتضتها البشرية بأجمعها كسدى يقوم عليه وجودها وصيرورتها ويمنعها من أن ياكل بعضها البعض وينتهى أمرها الى الانتحار الجماعى عن طريق الاسلحة النووية .

ويتضح من كل هذا أن مشاكل الشباب وما يتبع ذلك من تنمية وتشغيل إنما هى متصلة أشد الاتصال بهذه الظاهرة وطريقة معالجتنا لها . إذ أن العنف

اذا سيطر على مجتمع ما يحول كل البرامج والمشاريع الى هباء ويصبح المجتمع نهبا للقلاقل والازمات وعند ذلك يطمع الطامعون فى البلاد ويؤول الامر مثلما كان ذلك فى القرون الخالية الى التناحر والفتن ثم الاستعمار والاستعباد .

وهذا بالضبط ما يجعلنى أتطرق الى قضية أخرى لا تنفصل عن موضوع العنف اذ هى أساسه ومنطلقه وهو أن العالم العربى والاسلامى يعيش فترة تشبه بالضبط ما كان عليه فى العصور الخوالى اذ هو رجع الى الجدل فى نفس القضايا الدينية والمذهبية التى أدت به الى الفتن والتناحر ثم الجمود الفكرى. وكانه يريد ، فى هذه الحقبة من الزمن التى لا يحسد فيها على ضعفه ، أن يعيد ما كان عليه من حال تدعو الى الرثاء ، وقد كان فى قوته وعنفوانه ورغم ذلك لم يقدر على الصمود فى وجه الغازين والمعتدين .

وهكذا يتضح أن الاحداث التى كانت البلاد التونسية مسرحا لها تحتاج الى التحليل العميق ومراجعة انفسنا واختياراتنا ليمكن لنا أن نجنب البلاد الهزات والازمات ولا يكون ، ذلك إلا بخدمة المسار الديمقراطى خدمة حقيقية لا بالاقوال بل بالافعال واجتثاث كل ما من شأنه أن يزيد فى التفاوت بين الفئات والأجيال والجهات ويعمق الهوة بينها ويجعل العنف هو المسيطر والفيصل (*) .

البشير بن سلامة

(*) وزارة الشؤون الثقافية أعدت منذ سنة 1983 ندوة دولية موضوعها العنف ستلتئم فى غضون أفريل القادم .

الروح الاولمبية والعنف

بقلم : محمد مزالي

أصبح العنف فى ممارسة الرياضة أو اثناء المقابلات الرياضية من أهم مشاغل المربين والمسؤولين عن التربية البدنية ورجال السياسة . فلا يكاد يمر أسبوع دون أن تنقلب هذه التظاهرة الرياضية أو تلك الى مشاهد مؤسفة يعمد فيها الشبان وحتى من تجاوزوا طور الشباب الى كل ضروب العنف من تخريب واتلاف ورمى بالحجارة واحراق للعربات . ومن الناس من يسلمون أمرهم لله ويقبلون هذه الحالة المحزنة وكأنها الوجه الآخر الملازم للرياضة أو الضريبة التى لا مناص من أدائها لارضاء الغرائز المنحطة الكامنة فى النفس البشرية . ومنهم من يعتبرونها من قبيل الطقوس التى تقتضى تقديم الذبائح أو على الاقل التفريج النفسانى الضرورى ، الذى يحسن قصره على الملاعب وما حولها عوض تركه يتفاقم خطره فى الشوارع والمحلات العمومية .

على أن فريقا ثالثا ــ وهم الاغلبية والحمد لله ــ يرفضون التسليم بأن العنف بمثابة لعنة من السماء أو قضاء وقدر محتومين فصح منهم العزم وقرروا القيام بعمل جذرى لتقليص العنف أو الحد منه أو ، لم لا ، استئصاله كليا من كافة الالعاب الرياضية .

ان من حق الاكاديمية الاولمبية الدولية بل من أوكد واجباتها أن تساهم المساهمة الثمينة فى هذا الجهد الجماعى الرامى الى احلال التعامل السليم المحل

(*) نص المحاضرة التى القاها السيد محمد مزالى يوم 8 جويلية 1983 فى « أولمبيا » باليونان أمام المشاركين فى الدورة الثالثةوالعشرين للاكاديمية الاولمبية الدولية .

اللائق فى المباريات الرياضية ، ومقاومة كافة ضروب العنف فى الرياضة . ذلك أن الروح الاولمبية تقوم أساسا على مثل أعلى يستمد مقومات اكتماله من تناسق النشاط الجسمانى ، وهى بالتالى لا تقول بادىء ذى بدء بالانتصار والصراع والخصم ، بل هى ترمى الى ما وراء كل نزعة أساسها المنافسة . وعليه فان من واجبنا الاكيد ـ فى اطار الاكاديمية الاولمبية الدولية ـ أن نحلل اشكاليةالعنف فى الالعاب الرياضية وأن نتعمق فى تقصيها لتساهم فى انتصار قضية كنا ومازلنا مؤمنين بها .

ويبدو لى من الضرورى فى نطاق هذا البحث المتواضع أن نقلب الامر أولا فيما يخص ظاهرة العنف عامة ثم نحاول تسليطها على الالعاب الرياضية بوجه خاص قبل تحديد الدور الذى يمكن أن تضطلع بهالروح الاولمبية فىهذا المجال.

فالعنف يعتمد الشدة والقسوة ويطلق فى لغة التداول على القوة الهوجاء الجموح ، فنحن نتحدث عن عنف الريح أو عنف الانفجار . والكلمة تطلق على الانسان الاهوج الذى لا يقدر على كبح جماحه (فى حال المحبة الغالبة أو الغضب الشديد) وكذلك على نزعة اللجوء بدون وجه شرعى الى القوة قصد السيطرة على الغير . فالعنف مرتبط أشد الارتباط بالطبيعة البشرية الى حد اعتباره مقوما أساسيا لها وصفة غالبة عليها .

وقد لاحظ الفيلسوف الفرنسى بول ريكور (Paul Ricœur) فى نص ممتاز خص به الانسان الرافض للعنف وحضوره فىالتاريخ «أن العنف موجود فى كل زمان ومكان . ويكفى أن ننظر كيف تقام الامبراطوريات وتسقط وكيف تصنع الشهرة وتثبت وكيف تتناحر الديانات وكيف تتوارث وتتناقل امتيازات الملكية والسلطة وكيف يتوطد نفوذ رواد الفكر وتقام سطوة النخب الثقافية على ركام الاعمال التى أنجزها البؤساء والآلام التى تحملوها » (1) .

وكم كان هذا الفيلسوف على حق عندما رأى أنه لا توجد نظرة بعيدة عندما يخطط لعالم العنف وعندما حذرنا من سوك منهج من عمدوا الى تحليل العنف وتبجحوا باكتشاف ثلاث أو أربع يكفى كشفها لاسقاط دمىالعنفالمتحركة على ساحة الركح ، والواقع أن العنفظاهرة كلية فهى فى آن واحد بدنيةوبيولوجية ونفسانية واقتصادية وسوسيولوجية وسياسية وثقافية . فشمولية هذه

---

(1) بول ريكور : التاريخ والحقيقة ص 233 .

المستويات وتعددها جعلا هذه الظاهرة راسخة الجذور فى التاريخ وفى الاحداث وبالتالى جعلا كل عمل لاستئصالها شديد المراس فعلينا إذن أن لا نهمل أى مقوم من مقومات العنف .

ذلك أن النزعة العدوانية المتمثلة فى غريزة التخريب قدر مشترك عند كافة الحيوانات . فسواء استمدت قوتها من شحنات الادرينالين غير المستهلكة أو مما بقى فى المخ من رواسب ما قبل التاريخ فى مستوى « مسيخ الانف » أو نشأت عن درجة كبت النفس عن شهوات لم تلب كما يراه فرويد ، فجذورها مهما كان الامر ثابتة فى اعماق واقعنا البيولوجى . فالنزعة العدوانية هى اذن عند الانسان حالة طبيعية . أما النزوع عن العدوان فهو الفتح المبين وهو حصيلة جهاد النفس وتجاوز لمنزلتنا الحيوانية .

وعليه ينبغى أن نعتبر الوجه النفسانى للعنف الاعتبار الاكبر . اذ ما أن يشعر المرء فى صورة من الصور بحاجته الى فرض النفس حتى تستيقظ الغرائز الدفينة وتتغلب من جديد . ومهما كان مدى تجذر العنف فانه يتجلى فى أشكال وأنواع مختلفة . لذلك فالنزعة العدوانية لا تبرز أبدا حيث يفترض أن تكون ، فهى تنتقل ــ أو تنقل ــ بحسب الردود التى يرى المرء ، فى ظرف معين ، أنه من واجبه أن يقابل بها ما يدعى الى مواجهته من أمور . وسواء أولنا تلك الردود على أنها عقد نفسية كعقدة النقص أو عقدة التفوق أو على أنها عقدة انطواء ذاتى أو عقدة انفتاح خارجى ، فان النزعة العدوانية فى تنقل مستمر . ومن ثمة فان للوسط المادى والثقافى ، على الاخص ، تأثيرا حاسما فى هذا المجال ، ذلك ان الثقافة تغير شكل النزعة العدوانية ــ وأقول شكلها لا طبيعتها .

ولهذا فان بعضهم على حق حين يرون أن العنف هو العنصر الاساسى لكل مجتمع . ولم يتردد كل من رايمون بودون وفرنسوا بوريكو فى أن يكتبا فى مؤلف لهما ظهر حديثا : « ان العنف على مشارف الحياة الاجتماعية يحيط بها من كل الجوانب وهو يمثل الحد الادنى لها والخط الذى دونه لا يمكن للافراد أن يؤلفوا جماعة أصيلة بأتم معنى الكلمة . وحتى فى صلب جماعة يسودها النظام والامن وبين جماعات من هذا القبيل فانه لا احد يبقى فى مأمن من انفجار «النعرات القديمة» ، انفجارا لا رادع له مما يحطم كل نظام قائم على السلم(2).

---

(2) القاموس النقدى لعلم الاجتماع ص 609 .

ومن هنا يتبين ما يكتسيه موقع العنف فى كل مجتمع من عموض . فمن جهة يبدو مرتبطا بـ « انفلات زمام المراقبة أو انعدام الوعى لدى الافراد أو الجماعات التى لم تتهذب اجتماعيا . فيعزى ذلك الى الخروج عن المعقول أو ردة المكبوت أو بعث لغريزة الموت من جديد واطلاق العنان للغرائز الجنسية . ومن جهة أخرى يبدو العنف وكأنه مورد ينهل منه المجتمع تاركا للعنف المجال ليستفحل فى قطاع أملا فى استئصاله من قطاع آخر استئصالا أحسن وأفضل » (3) .

والعنف حسب التعبير المتداول فى علم الاجتماع يبرز للعيان عندما تنطمس القيم ، فيصدر آنذاك عن النزعة الانكارية ويترجم بأسوإ صورة عن مدى التفريط فى معنى الحياة . وعند ذلك يتغذى العنف من مواطن ضعفنا الشخصية وهذا ما وفق الفيلسوف الفرنسى فلاديمير جانكليفيتش الى كشف النقاب عنه بوضوح عندما قال : « ليس من قبيل المبالغة وصف العنف بأنه قوة ضعيفة لأن القوة هى التى تتعارض مع الضعف . أما العنف فهو يقابل الرفق . ومما يدل على أن العنف قلما يتعارض مع الضعف هو أن الضعف ليس له فى الغالب من علامة غير العنف ، فالعنف ضعيف ومتعجرف وهو متعجرف لانه فى الواقع ضعيف » (4) .

ثم هل ان عصرنا أشد عنفا من العصور الاخرى ؟ هذا حكم نترك البت فيه للمؤرخين . بل ان ما يبدو متأكدا لدينا ، هو أن العنف السائد فى عصرنا ليس علامة قوة أو رباطة جأش بل هو دليل ضعف وانحطاط . ويظهر لى أنه يكشف عن الفراغ الخطير فى تفكيرنا وعن عدم جدوى النظم التى تستنبطها مجتمعاتنا لتعويض ما فقدته .

ان سباقنا للظفر بالرفاه المادى الذى أصبح يقاس بالدولارات وبمرافق العيش الرغيد وسباقنا الذى لا نهاية له نحو التسلح واطلاق العنان لشهواتنا الى أقصى حد وهيامنا بتكنولوجيا غدت غاية فى حد ذاتها وتسييس كل شيء ولا شيء وحرصنا على التستر وراء ترسانة من الايديولجيات المبهرة وافلاس هذه الايديولوجيات الذى بات من تحصيل الحاصل ان كل ذلك لم يترك على ما يبدو للناس فى عصرنا هذا اختيارا آخر غير اللجوء المجانى الجنونى الى العنف الخالص .

---

(3) القاموس النقدى لعلم الاجتماع ص 609 .

(4) ف . جانكليفيتش . الطاهر والنجس ص 169 .

فلا غرابة اذن أن يبدو العنف فى هذا السياق وبالنسبة الى الكثيرين بمثابة آخر ملجا والوسيلة الوحيدة لتغيير عالم غدا لا طعم له لكثرة ما توفر فيه من وسائل وأصبح فقيرا لفرط ما تجمع فيه من ثروات مختلفة .

وأخيرا وليس آخرا لا يكون العنف فى بعض الاحيان وسيلة لخدمة غرض نبيل أو حتى سلاحا لتغيير أحوال العالم ، بحيث يصبح فى هذه الحال عنفا مجانيا . وبما أنه أصبح غاية فى حد ذاته فانه لا يمكن أن يفضى الى أى شىء ذى بال . ويصبح عنف الايديولوجيات الخالية من كل معنى فى خاتمة المطاف مجرد ايديولوجية سطحية للعنف . وهكذا تضفى الانكارية المضرة بمجتمعاتنا العصرية ايما ضرر مسحة من المطلق على العنف . ومما يدل على ذلك أن مطلق العنف لا يمكن أن يفضى الا الى العنف المطلق .

فكيف السبيل ، فى هذه الحال ، الى جعل الرياضة فى منأى عن العنف ؟ ينبغى ألا نمل من تكرار القول بأن العنف فى الالعاب الرياضية ليس الا مظهرا من بين عدة مظاهر أخرى للعنف الاجتماعى . انه ليس مظهرا معزولا بل هو امتداد فى الملعب الرياضى لظاهرة يمكن تبينها فى أى مكان آخر : سواء فى الشارع أو فى المعامل أو فى المدارس أو فى الجامعة .

اننا لا محالة نجد الى جانب الخصائص العامة للعنف فى المجتمع خصائص أخرى لصيقة بالرياضة فى حد ذاتها . لان الرياضة بوصفها فرجة تطلق العنان للنزعة العدوانية التى أشرنا اليها كما تطلق العنان للعنف المكبوت أسوأ كبت وهو عنف لا تزيده صنوف الحرمان الطافحة به الحياة اليومية الا اضطراما .

والرياضة باعتبارها حفلة أو تظاهرة جماعية فان « الحاجة فيها الى العنف » تصبح ملحة موعز بها ، مؤطرة ، موجهة فى خضم المنافسة الجماعية التى صارت أهم شىء فى الرياضة اليوم . وعندما نقرأ بعض التحقيقات التى تصف ضخامة الوسائل التى تسخرها بعض البلدان لكبح جماح النزعات العدوانية المصاحبة للتظاهرات الرياضية الكبرى نود لو كان ذلك مجرد حلم فلنستمع الى « بيار سورو » الذى يلخص لنا ما أصبح يعد من قبيل الاحداث اليومية العادية البسيطة فى ملاعبنا الرياضية . فيقول : « فى أغلب الاحيان تقتصر انفجارات العاطفة المتأججة على الكلام أو الصراخ أو على الحركات المعبرة عن مواقف معينة ولكنها عندما لا يتحقق أحيانا أخرى الانتصار المأمول أو عندما تعتبر الهزيمة مسا بكرامة الشخص أو هى شعور جديد بالحرمان فان الانفجار العاطفى يتحول الى عنف ويصبح من العسير كبح جماحه .

ولكي يتم هذا العنف بدون أضرار بالغة يقتضي ذلك انتصاب جهاز بوليسي بكامل العدد والعدة ففي فرنسا يهيأ لهذا الامر عدد ذو بال من طواقم الشرطة وفرق الامن الجمهوري تصحبها الكلاب البوليسية .. وفي غلاسقو تناط هذه المهمة بعهدة أعوان الدرك المتطين صهوات الخيول والمسلحين بهراوات طويلة ويضاف الى ذلك اعداد مسالك مشبكة بالحديد معدة لخروج اللاعبين والحكام ووضع الحواجز الحديدية وفصل المنصات عن ميدان اللعب بحفر يصعب تخطيها وما الى ذلك من قاذفات المياه لاطفاء الحرائق (5) .

والواقع أن العنف في الملعب الرياضي ليس الا صورة من صور العنـف في المدينة ويخطيء خطأ فادحا من يعتبر ذلك مجرد طفرة ظرفية . نعم يمكن لا محالة أن تكون الرياضة متنفسا وقتيا عرضيا لعنف امتدت جذوره في أعماق الحياة اليومية . غير أن هذا لا يغير شيئا من العنف الموجود في المجتمع ، ولا فائدة ترجى من صرف هذه الشحنة أو تلك من العنف في ممارسة الرياضة اذا بقيت الهياكل التي انجر عنها العنف على حالها ولم يدخل عليها أي تغيير .

ومن مظاهر العنف التي قد تعزى للرياضة بصورة مباشرة تلك الممارسات التي لها صلة بتقنيات اللعبة ذاتها والتي تميز هذه الرياضة أو تلك . وعـلى هذا الاساس فانه بالامكان اعداد تصنيف حقيقي للرياضات حسب مقياس محدد يتماشى مع درجة العنف التي تقتضيه هذه الرياضة أو تلك ، وفي هذه الحال نحصل على ترتيب تصاعدي من هدوء الحركة وانسجامها الايقاعي الى أقصى درجات الغلظة والعنف وبالامكان اعداد شبكة ذات خمس بيوت :

- رياضات هادئـة : ألعاب قوى وسباحة ورماية بالقوس
- رياضات قليلة العنف : كرة الطاولة وكرة المضرب
- رياضات متوسطة العنف : كرة السلة والكرة الطائرة
- رياضات عنيفـة : كرة القدم والرقبي
- رياضات بالغة العنف : ملاكمة ، ومصارعة وفنون حربية

وهكذا فالرياضة من هذا المنظور تشبه الخان الاسباني . وبما أننا نجد فيه كل شيء ، فلا يمكن أن نحشر ضمن نفس التحليل نشاطا مثل السباحة التي

(5) الفرجة الرياضية ص 39 .

هى تسام بالجسد وتلاؤم مع المحيط المائى مع الملاكمة ، وخاصة منهـا ملاكمة الاحتراف ، التى هى عنف منظم ، لانها مقننة ، ولكنها خطيرة فى بعض الاحيان.

وفى هذا الصدد أوردت جريدة لومند (6) فى هذه الايام مقالا عن « الملاكمة القاتلة » وهو مقال رددت فيه مـا ورد فى تقرير لجمعية جـراحى الاعصـاب بالولايات المتحدة يطالـب منظمى المقابـلات بـ « نـزر قليل مـن الجديـة » و « باجراءات لتطهير هذه الرياضة » ، وحسب ما جاء فى تقرير هذه الجمعية فان 15٪ من الملاكمين المحترفين مصابون باضطرابات عقلية ـ مثل فقـدان الذاكرة ، وعسر النطق ، وصعوبة التنقل وارتعاشات متأتية من رضوض فى الجمجمة يصعب الكشف عنها اثر المقابـلات . وقد تبين مـن دراسة صـور راديوغرافية لثمانية وثلاثين ملاكما أن اكثر من نصفهم يحملون آثار تقلص فى أنسجة المخ ، وأن 17 ٪ من الملاكمين الذين مارسوا هذه الرياضة ما بين 6 و 9 سنوات يعانون من اضطرابات عقلية ، وأن ثلثهم يعانى من اضطراب فى النطق أو الذاكرة أو التنقل . وفيما بين 1945 و 1979 مات 335 ملاكما محترفا أو هاويا فى العالم ، من جراء تعاطيهم أنشطتهم . ومع ذلك فان هذه النسبة من الوفيات العالية فى حد ذاتها (0،13 ٪) هى أقل بكثير من نسبة الوفيات بالرياضات الاخرى مثل الغوص البحرى (1،1 ٪) وتسلق الجبال (1،5 ٪) أو سباق الخيل (12،8 ٪) . ويمكننا تعداد الامثلة ، لكننا نقتصر على هذه الوقائع البالغة الدلالة والتى لا سبيل الى دحضها .

ولئن الححنا فى ايراد هذه التفاصيل فلنبين ان الرياضة اذا أوكـل أمرها الى سماسرة لا ذمام لهم تكون سببا فى حدوث ما لا تحمد عقبـاه . وأن جمعية جراحى الاعصاب الامريكيين نفسها قد عبرت عن عميق انشغالها ازاء الافراط فى استخدام التظاهرات الرياضية ، واقترحت بالنسبة الى مباريات الملاكمة التى تجرى بالولايات المتحدة أن تتخذ اجراءات ملموسة القصد منها ادخـال تغيير يتعلق بطبيعة هذه الرياضة وطرائقها . واننى شخصيا لا أرى أن المطالبة بوجود أطباء حول الحلبة أو مجرد الحصول على رخص مسبقة هى أفضل طريقة لمعالجة هذه المشكلة .

وهكذا صارت الرياضة للاسف ، ممارسة لاتمت فعلا بصلة كبيرة الى المثل العليا المرتبطة أساسا بالتربية البدنية . فالمكافآت المالية التى غالبا ما تصل الى

---

(6) 13 ـ 14 فيفـرى 1983 .

مبالغ يدهش لها المثقفون والعاملون الجادون غيرت مفهوم المباراة نفسها ، لان الانتصار لم يعد انتصارا معنويا أو بدنيا ، وانما أصبح واقعا ماديا يقاس بالدرهم الرنان والدينار . وصارت المباريات مجالا للرهان يقـدر بـآلاف الدولارات . وانجر عن ذلك اعتبار الربح والتربيح بأى ثمن كان هو الشغل الشاغل لاوساط الاحتراف . وسعيا لضمان اقبال الجمهور فى جحافل جـرارة ، وتزاحمه عـلى مدرجات الملاعب وقاعات العرض ، لا يتردد بعضهم فى تملق العواطف والاهواء على اختلافها . وهكذا أصبح التعصـب ، والشوفينية لـدى الجمهـور وحمى النجومية لدى اللاعبين ، واللهاث وراء الالقاب ، وداء البطولية مظاهر مؤسفة لا محالة ، ولكنها ضرورية لتحقيق النجاح المادى لايـة مباراة . وبعد أن كان المتفرجون يتابعون المباريات بدافع الاهتمام والمتعة يتحولـون ، كما لـو كان الواجب يقتضى ذلك ، الى متعصبين يطالبون بالنصر تلو النصر ، خاصة فى المباريات التى تتعلق بنواديهم، وعند الاخفاق ـ وهو أمر لا مناص منه ـ مرة كل مرتين على الاقل تكون خيبة الامل سببا فى الشعور بالحرمان الذى سرعان ما ينقلب الى غضب ومنه الى العنف ، وتسير الامور على هذا النحو حـتى يصبح الجميع أبعد ما يكونون عما تفرضه الرياضة الحق من مثل عليا بـل أن الامـر لا يعدو أن يكون فى معظم الحالات قريبا «من القبلية» ذلك أنه لا يكفى أن يلتزم اللاعبون باللياقة ، وانما من واجب الجمهور أيضا التحلى باللياقة وعدم الخلط بين الرياضة والسياسة التى تقترن فى معناها الضيق بالحقد والعنصرية والعصبية والادهى والامر من ذلك هو أن قوانين المباريات الرياضية نفسها تبدو مساعدة على استمرار هذا المناخ كما لو كان ذلك قدرا سيئا محتوما، حتى هذه التنظيمات أصبحت فى نظر الكثيرين مجرد عائق قدر له أن يتم تجاوزه بصـورة ملتويـة ناهيك أن بعض التنظيمات هى نفسها توحى بالتحيل ذاته والحال أنها أعدت لتوفير الوسائل الكفيلة بصهر خصال مثل ضبط النفس وامتلاكها فى صلب الرياضة ذاتها .

وباختصار ، فان الرياضة كما تمارس اليـوم فى اطـار مجتمع جماهيـرى واستهلاكى تسير نحو فقدان علة وجودها ، ومآلها افلاس المثل العليا التى كان عليها أن تسعى الى تحقيقها . ولنقل مرة أخرى ، وفى الاعادة افادة ان المبادىء الاولمبية هى وحدها الدواء الناجع لكل التجاوزات فى الميدان الرياضى ، وهى وحدها تمثل القيمة العليا ضد العنف .

وليس من المفيد أن أعيد على مسامعكم مبادىء الفلسفة الاولمبية ، وقد عالجت الاكاديمية الاولمبية الدولية هذه المسألة خلال الجلسات السابقة بما يغنى عن

العودة اليها وحسبى أن أذكر بالمنشور الرائع المؤرخ فى 15 جانفى 1894 الذى وجهه بياردى كوبرتان الى الجمعيات الفرنسية والاجنبية . وقد جاء فيـه « من المهم ، قبل كل شيء ، المحافظة على ما تميزت به ألعاب القوى فى الماضى من نبل وفتوة لتواصل القيام بدورها بصورة فعالة فى مجال تربية الشعوب الحديثة ، على غرار ما أضفاه عليها معلمو اليونان من دور رائع خاصة وأن النفس البشرية الامارة بالسوء تسعى دائما الى تحويل رياضى الاولمب الى مصارع فى سيرك . والواجب يقتضى أن نختار بين النقيضين . وما نزال ، الى اليـوم أمـام هـذا الاختيار ناهيك أن العودة الى أحياء الالعاب الاولمبية كانت غايته ، بكل وضوح ، «التوقى من نزعة الربح والاحتراف» . ولنفس الاسباب صرخ بياردى كوبرتان سنة 1925 قائلا : الاحتراف هو العدو بذاته .

فنحن اذن مدعوون الى العمل فى هذه السبيل ، وعلينا ان نعطى مقاومتنا للعنف فى الرياضة بعدها التربوى الحقيقى ولهذا لا يقتضى الامر مقاومة غرائز الانسان، بل منعها من النمو فى اتجاه فوضوي جارف اذ الروح الاولمبية وفلسفتها ومثلها الاعلى ومبادؤها لا تهم الرياضة وحدها ، وانما تتصل بالتربية بمعناها الشامل . وهى تهم الملعب دون شك ، ولكنها تهم أيضا الاسـرة والمدرسـة والجامعة والمصنع ووسائل الاعلام .

على أنه لابد أن نولى عناية خاصة « بالمسيرين » من مربين ومسؤوليـن عن النوادى وحكام ومنشطين على مختلف الاصعدة ذلك أنهم مدعوون الى القيام بدور هام حتى تمارس الرياضة فى الواقع وفق ما تقتضيه كـل الآداب ، وفى جـو تسوده مراعاة قواعد المجاملة والروح الرياضية . ولا يحق لنا أن ننسى أبدا أن الشبان غالبا ما يبالغون فى الاقتداء بالكبار . ولهذا فان على هؤلاء أن يحرصوا على اعطاء المثل وأن يبرهنوا عن مدى تشبعهم أنفسهم ، بالقيم الاخلاقية .

وليست الروح الاولمبية مجرد احترام للقواعد بصورة سلبية ، بل هى أكثر من ذلك ، فهى تقتضى من كل متبار توفير حظوظه فى الانتصار ، لكن مع مراعاة حظوظ المنافس الذى يجب أن يقابل بالاكرام والمحبة وأن يكون محل احترام على كل حال . والكلمة الانجليزية (Fair - Play) تترجم تماما عـن هـذه الروح النبيلة التى خصها بيار دى كوبرتان بالروح الاولمبية . وقد قال برنار جيلى : « ان هذه الروح عندما تؤدى الى الفوز، يصحبها احساس مرهف بالانتصار على خصم نربأ بأنفسنا أن نشعر إزاءه بامتياز ما » وفى هذا عزم رائع ايجابى هو

للعقل بمثابة الجهد الرياضي للجسد ، لان الروح الاولمبية ليست مسألة عضلات أو عراقيب لا غير .

واننا لنسجل بارتياح الجهود التى بذلتها مختلف الهيئات « من أجل رياضة بدون عنف ومن أجل الروح الرياضية السمحة » مثل اللجنة الدولية للروح الرياضية السمحة ، والجمعية الدولية لمقاومة العنف فى الرياضة والبنتاتلون الدولى واليونسكو وبعض الدول . وهذه الروح هى التى كانت الدافع لاقامة ملتقى موناكو . وفيما يخص اللائحة الختامية يجب أن تكون محل درس معمق من قبلنا هنا لانها تتضمن جملة من الاجراءات الملموسة ، وهى اجراءات سنتبنى أغلبها ، لا سيما وأن اللجنة الاولمبية الدولية قد اشتركت فى هذه الجلسات عن كثب بل إن المسؤولين باللجنة الاولمبية الدولية على اختلاف درجاتهم وتنوع اللجان التى ينتمون اليها واعون بأهمية هذه المسألة ومن هنا يستمد اجتماعنا الحالى كل معناه .

ان دورنا يقتضى البحث بواسطة الرياضة فيما يحف بعملنا التربوى من ملابسات ويستوجب كذلك مقاومة الانحرافات والتدليل بالواقع على الطريقة التى بها تكون الروح الاولمبية نمطا للحياة ورؤية للكون . وهذه السبيل هى وحدها التى تقينا من اليأس من الرياضة ومن الاستسلام لكل التجاوزات التى شهدناها خلال السنوات الاخيرة والتسليم بها كما لو كانت لعنة مسلطة وقدرا مقدورا ، وأن الروح الاولمبية فلسفة قوامها الشدة مع النفس وامتلاك الفرد لناصية أمره والسمو الى عالم المثل بالجسد الذى هو قسمتنا جميعا وهكذا فنحن محكوم لنا بالعمل وكلى أمل فى أن يكون لهذه الدورة الجديدة من اجتماعات الاكاديمية الاولمبية الدولية ، فى هذا المجال ، من الجدوى ، ما كان لدوراتها الاخرى السابقة .

محمد مزالي

عندما تنمو غرسة الشر...
شعر: محمد العيايشي

لو يطيقْ !
ويح نفسي من لجاج القلب لو كان يفيقْ !
كنت ألقي ببقايا الحبّ في واد سحيق
شذرات .. وشظايا .. وهباء .. للحريق
للبلى .. للموت .. للنسيان .. للصمت العميق .
لو أزاحْ
عنه يوما جيفةَ الحب لراحتْ واستراحْ ،
ولألقى ببقاياها نزيفا للجراحْ ..
وهشيما في فجاج الأرض تسقيه الرّياحْ ..
وبكاء في ركابِ الموت يحدوه النّواحْ .
لو من الأعراض والهجران قلبي يَجِفُ ..
لو من اللوعةِ والأشواق عيني تَكِفُ ..
كنتُ في شرع الهوى أعترفُ ..
وأدين النفس لا أنتصفُ ،
إنما دمعيَ من وضع الغباءِ
وافتنان الجهل في صنع الشقاءِ
ويد تمتد نحوي في خفاءِ

تبتغي تنشل مني كبريائي
بدهاء .
غرسة من بؤرة الشرّ نمت في مضجعي
أنشبتْ أشواكها في أضلعي
ومضتْ تمتص مني أدمعي ،
ليتها كانت دموع الحب والحرمان والحزن المذيبْ !
ليتها من لوعة الهجر ومن شوق حبيب لحبيبْ !
آه ما أقسى على المهجة أن لا تعشقا !
وبنور الحب أن لا تُشرقا
وبنار الشوق أن لا تُحرقا
كان عهداً يا فؤادي وانقضى
خطَّهُ الحظ وأمضاه القضا .

***

إيه يا دنيا هريقي فضل كأسي !
فلقد ضقت بنفسي
ونزفت الباقيَ المنهوكَ من لذات أمسي .
ودفنت الشارد المسفوكَ في أطياف أنسي ،
منذ أن قد غرَّبتْ شمس نهاري
وتداعتْ لانحدار
في انهيار
تستقي الراحة في الظلمة ، في أعماق رمس
يا لنفسي !
بعد ما قد أبعدتْ في شأوها عَدْوًا وركضا
وتناهت في مدى غاياتها طولا وعرضا

أشرقت ما أشرقت
أحرقت ما أحرقت
وتولت تلفظ الأنفاس في حزن ويأسِ
يا لنفسي !
كيف ذابت في الدموع ؟
كنفايات الشموع !

⁂

ذرّفي يا عينُ من دمعي ومن دَمِي [!] ونوحي،
فلقد جدتُ بروحي
ثم ضمدت قُرُوحي
بقروحي
عجب تضميد نفس من قروح بقروح !
عجبًا لي ! أزهقُ الروحَ وأبقى وأُوَقّى !
وأداري بالدّم المسفوك دمعا قد تبقّى
أجرعُ الحيرةَ والوحشة طوعا وانصياعا
وأُقضّي العمر تيها وضياعا
وأذيب النفس في الأوجاع حزنا والتياعا
يا لنفس قد تهاوت في الحنايا !
كالحِمَمْ !
فنيتْ إلا بقايا
من شذور وشظايا
غفلتْ عنها الرزايا
والمنايا
فإذا هيَ [!] ركام من دموع وألمْ

وخيالاتُ وجودٍ في متاهاتِ العدمْ .

***

يا زفيري .. يا دموعي ..
أججي ما قد تلظَّى في ضلوعي ..
أطفئي ما قد تبقَّى من شموعي ..
فلقد أشفقت .. واستوحشت من حظ كثير العثراتِ
وغدٍ يبدو كثيرَ الهمّ جمَّ الحسراتِ ،
واستوى الأمران في عينيَّ : موتي وحياتي .
لم يعد لي من غد أرقبهُ
وانتفى المطلبُ .. لا أطلبهُ
آه ما أقسى على النفس غدا لا يطلبُ !
وجديدا قادما في الغيب لا يُرتقبُ !
يا لبؤسي !
يا لأيام تزجّيها بعنف ريح نحس !
تتبارى في مجال الشر يوما مثل أمسِ
وتمني النفس بالراحة في أعماق رمسِ
فاض كأسي
ودفنت البعض إثر البعض نفسا بعد نفسِ
وتألمت لنفسي
وترحمت على نفسي بنفسي .

محمد العياشي

رأي في تكوين المجتهد في عصرنا هذا
مجلس شورى المجتهدين

بقلم : د. محمد فاضل الجمالي

مقدمة :

ان العديد من المفكرين المسلمين اليوم يتطلعون الى الاجتهاد كعامل مهم من عوامل النهضة والقوة والتجديد في حياة المسلمين المعاصرة .

فما هو الاجتهاد ؟

الاجتهاد مثل الجهاد مشتق من «الجهد» وهو يعني بذل الجهد المضني في سبيل اكتشاف الاحكام المبنية على الحق والحقيقة مسترشدا بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والقياس والاجماع . ثم العمل على نشر الحق والحقيقة بين الناس والدعوة الى تطبيقهما على الحياة .

لم ترد لفظة «مجتهد» في القرآن الكريم بل وردت كلمات مثل :

«**الراسخون في العلم**» في قوله تعالى «... وما يعلم تأويله الا الله . والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ...» (آل عمران 7)

«**الذين يستنبطونه**» في قوله تعالى «... لعلمه الذين يستنبطونه منهم» (النساء 83) .

«**أهل الذكر**» في قوله تعالى «... فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» (الانبياء 7) .

«**خبير**» في قوله تعالى «.... ولا ينبئك مثل خبير» (فاطر 14) .

«**العلماء**» في قوله تعالى : «.. انما يخشى الله من عباده العلماء ..» (فاطر 28) .

هذا وفى الحديث الشريف : «ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة **من يجدد** لها أمر دينها» فالمجتهد اذن هو المجاهد فى سبيل الله الذى يحاول جهده ان يحقق الصفات والمؤهلات التى تتضمنها الآيات الكريمة والحديث الشريف • والمجتهد انسان سرى ذكى يجمع بين **التقوى والعلم والحكمة** والشجاعة • ثم انه يمتاز باللطف وحسن القيادة • انه طود شامخ يشار اليه بالبنان ويرجى منه الخير لبنى الانسان •

دور المجتهد فى التاريخ الاسلامى :

لقد وهب الله تعالى المسلمين فى تاريخهم وفى شتى اقطارهم من المجتهدين من اصبحوا من مفاخر العلم والتقوى فى تاريخ الحضارة الاسلامية • فقد كان لهم الفضل فى توجيه المسلمين الى العمل بتعاليم دينهم الحنيف كما أنهم اثروا الفكر الدينى الاسلامى بنتاج بحوثهم واستنباطهم •

وللعديد من المجتهدين الفضل فى الدفاع عن حوزة الاسلام بدعوتهم المسلمين الى الجهاد ضد غزو المعتدين كما فعل المجتهدون فى العراق حين اعلنوا الجهاد ضد الغزو البريطانى للعراق فى الحرب العالمية الاولى وحضروا ساحات القتال • ثم انهم الهبوا الثورة العراقية سنة 1920 ضد الاحتلال البريطانى تلك الثورة التى أدت الى تأسيس الحكم الوطنى فى العراق • وما يقال عن المجتهدين فى العراق يصدق على ما قام به الامام عبد الحميد بن باديس ورفيقه العلامة الشيخ البشير الابراهيمى (رضى الله عنهما) • اذ كان لهم الفضل الاول فى اذكاء العاطفة الاسلامية فى نفوس المجاهدين الاحرار الذين حرروا الجزائر من الاستعمار •

أجل ان للعلماء المجتهدين الدور الايجابى البارز فى حمل رسالة الاسلام ومقارعة الالحاد والفساد والاستعمار .

وما ضعف المسلمون وما استكانوا الا حين ضعف المجتهدون فى العالم الاسلامى : حين استبدت السلطات الحاكمة وحجرت الافكار وبدأ التناحر والتعصب والتمذهب بين فئات المسلمين • فبعد أن كان الاجتهاد موضع التقدير والاجلال من قبل المسلمين عموما شعوبا وحكاما مرت عصور اضطهد فيها المجتهد أو عذب أو استشهد . وذلك حين اصطدم رأيه بمصالح الفئة الحاكمة المستبدة . ولكن هذه الحوادث نادرة فى التاريخ الاسلامى ولله الحمد •

نقاط القوة والضعف في تكوين المجتهد على النهج القديم :

ان للاجتهاد في العالم الاسلامي مزاياه العالية من حيث التكوين العلمي والخلقي والروحي فقد كان طالب العلم (لاجل ان يبلغ منزلة الاجتهاد) يطوى الليل والنهار في درسه وابحاثه وعبادته . كما كان يقوم بتدريس من هم دونه في المنزلة العلمية . كل ذلك في سبيل الله وحبا في اكتشاف الحقيقة والاستزادة من العلم والمعرفة . وكان يتحلى بالزهد والقناعة في المعاش . فلا تطغى عليه اطماع المادة او الجاه او المنصب .

وكانت الدراسة المستمرة والبحث الدائب مقرونة بالتدريس تضمن لطالب العلم التعمق والاتقان في العلم والتعليم . وكان الدرس والتدريس يجريان في جو هادىء حر لا يعكر صفوهما امتحان آخر السنة ولا الشهادات المدرسية . فالدرس يجرى بلا الحاح ولا استعجال ومواعيد الدراسة تعين حسب الاتفاق والاقتضاء بين الاستاذ وطلابه . علام الاستعجال والعمر كله درس وتدريس بلا انقطاع ؟ .

ومن مزايا الاجتهاد أنه «افرادى» يؤسس على الاستقلال الفكرى والاستنباط للمجتهد الفرد . فالمجتهد يكون رأيه بعد الدرس والتأمل العميقين ثم يجهر برأيه بكل جرأة وحرية مهما اختلف رأيه مع آراء غيره من المجتهدين .

ولما كانت مجموعة العلوم والمعارف القديمة محدودة فقد كان في وسع طالب العلم ان يكون موسوعيا اذا استطاع ورغب في ذلك . فالى جانب اختصاصه في العلوم الدينية كان يمكنه الغوص في الفلسفة أو التاريخ أو الادب أو الرياضيات مثلا .

ولما دب الضعف والانحلال في المجتمعات الاسلامية اغلقت ابواب الفكر والعقول في وجه ما يدعى بالعلوم الدنيوية واقتصر الاجتهاد على العلوم الدينية . واصبحت الحياة الفكرية الاسلامية راكدة تقريبا بينما سار الغرب في حقول العلوم المضبوطة والاكتشافات الجغرافية بخطى حثيثة . ولم يعد المسلمون يعنون بما يجرى في الغرب من تقدم واستعداد الامر الذى أدى الى استيلاء الغرب على معظم اقطار العالم الاسلامى نتيجة لما انتشر في العالم الاسلامى من انقسامات وما سادها من استبداد وعدم استعداد .

وفي عصور التخلف هذه منى البعض من العلماء المجتهدين بالعزلة والانكباب على الدرس والعبادة على الاكثر . فلم يتصلوا اتصالا كافيا بالشعوب ولا بالحياة المعاصرة داخل العالم الاسلامي وخارجه ليطلعوا على

مشاكل الانسان المسلم وما يعانيه من مشاكل عقائدية واخلاقية واقتصادية واجتماعية • وما يحيط به من اخطار خارجية • انتشر فى العديد من الاقطار الاسلامية الاستبداد والفساد فى نظم الحكم وانفصال بين الدين والدولة • وبين الشباب والايمان (كنتيجة للثقافة العلمانية) وحصل تساؤل وتضارب بين ما يدعو اليه علماء الدين وبين التطبيق الواقعى فى حياة الناس عامة • والكثيرون يعيشون هذا التناقض فى عصرنا هذا •

حاجتنا الى اجتهاد جديد :

قبل الحديث عن تكوين المجتهد المطلوب للعصر الجديد . يجدر بنا ان نستعرض المبادىء الاساسية التى تقودنا فى حياتنا الاسلامية الجديدة والتى لا بد من اخذها بعين الاعتبار فى تكوين المجتهد الجديد :

(1) ان الدين الاسلامى وهو دين الله الخالد دين شمولى يتناول حياة الانسان (كفرد وكجماعة) من كل جوانبها • انه دين يربط الحياة الدنيا بالآخرة • انه يدعو الى الآخرة ولكنه لا يهمل الدنيا «وابتغ فيما آتيك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ٠٠٠» (القصص 77) ولذلك فهو لا يقتصر على العقائد والعبادات بل يشمل ايضا حياة الانسان الصحية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والابداعية والاخلاقية والوطنية والدوليه الخ • فالمطلوب من المجتهدين ان يرشدوا ويوجهوا الانسان المسلم فى شؤون حياته كلها •

(2) ان الدين الاسلامى وهو دين الله الخالد جاء لبنى الانسان فى كل مكان • وتعاليمه المتضمنة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة صالحة لكن الازمان . ولكن تطبيقها على الحياة والظروف والازمنة والامكنة المتغيرة والمتطورة تتطلب تطويرا فى التطبيق • التعاليم الدينية ثابتة ولكن الظروف الكونية والحياتية دائمة التغير ولا سيما بعد تطبيق الاكتشافات العلمية والاختراعات الحديثة على حياة الانسان المعاصر • ولذلك فيصبح لزاما على المجتهد ان يلم بالعوامل التى تؤدى الى تغيير الظروف ويقدر نتائجها فيصدر احكاما تلائم الموقف الجديد •

(3) لما كانت كل العلوم وكل الاكتشافات والمخترعات تدل على عظمة الخالق وهى من نعم الله التى لا تحصى على الانسان فانها تدعم فى نفس الانسان المؤمن ايمانه بالله تعالى والاعتراف بكل تواضع وخشوع بعلم الله وقدرته وارادته • فكل العلوم وكل المخترعات لها فى نظرنا صفة دينية •

فهي قد تصبح من علوم العقائد حقا اذا ما احسن توجيهها دينيا . ولذلك فلا يصح في نظرنا تقسيم العلوم الى علوم دينية وعلوم دنيوية فالعلوم كلها دينية . والتقنيات كلها دينية ، وآيات الله سبحانه وتعالى تتجلى في علوم الدين والدنيا على السواء . ألم يقل سبحانه وتعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (فصلت 53) إذن فالعالم الديني مؤهل لان يدرس علوم الدنيا والدين على السواء ، كما ان العالمين بعلوم الدنيا في وسعهم ان يدرسوا العلوم الدينية . كل العلوم وكل الفنون والمخترعات هي منح الهية للانسان فهي دينية .

(4) لما كانت البحوث العلمية والتطبيقية قد بلغت درجة عالية من الضبط والدقة والتوسع والتفرع لم يعد في وسع اى انسان مهما بلغ من الذكاء وسعة الاستيعاب ان يلم باكثر من فرع من العلوم . . ولذلك فاعداد المجتهد يتطلب دراسة عامة واسعة في العلوم لرؤية الكل . ثم الشروع في التخصص . ولما كانت مرحلة التخصص هي مرحلة الاعداد للاجتهاد يترتب على ذلك تعدد المجتهدين الاخصائيين في شتى العلوم الدينية والدنيوية . ويستحسن ان يقرن المجتهد في العلوم الدينية اجتهاده باختصاص آخر كالرياضيات او النبات او التاريخ الى غير ذلك او بمهنة كالطب او الفلاحة او الاقتصاد الى غير ذلك . .

(5) لما كان الاسلام يدعو المسلم الى طلب العلم «ولو بالصين» ويعتبر «الحكمة ضالة المؤمن التقطها أنى وجدها» يترتب على طالب الاجتهاد ان يكون متفتحا على العالم ولا سيما فيما يتعلق باختصاصه في العلوم الدينية أو العلوم الدقيقة : فيتعرف على النشاط الذى يمارسه ابناء سائر الاديان . كما يتعرف على احوال المسلمين وشؤونهم في سائر الاقطار الاسلامية . وهذا يتطلب اتقان لغات أجنبية واحدة على الاقل الى جانب اتقان العربية .

(6) من المستحسن جدا في نظرنا ان يكون طالب الاجتهاد ممن زاولوا (أو يزاولون) ناحية من نواحي الحياة العملية التي تتصل بشؤون كسب المعاش : كاشتغال في معمل أو اشتغال في حقل كما فعل الامام علي بن طالب او اشتغال في متجر كما فعل الامام ابو حنيفة . فالمفروض في المجتهد ان تكون له خبرة مباشرة بالحياة العامة مطلعا على مشاكل الحياة وسلوك الانسان . يفكر في سبل تعديل هذا السلوك ان كان معوجا ويشجعه ان كان مستقيما .

فالمجتهد ينبغي أن يكون رجل دنيا ودين في الوقت ذاته .

(7) المفروض فى المجتهد ان يكون ملما باحوال أمته وما تحويه من امكانات عظيمة ينبغى ان تستثمر وتوجه نحو الخير من جهة وما تعانى منه من جهل وتخلف وفساد واستبداد من الجهة الاخرى . وذلك يتطلب من أبناء الشعب تفهما جديدا لحقائق الدين الحنيف وتعاليم القرآن الكريم والسنة الشريفة. فالقرآن والسنة يدعوان المسلمين الى **الوحدة** والى **القوة** والى **العلم** والى العمل الصالح مع التحلى بروح الاخاء والعدل والانصاف والرحمة. والمهمة التى يتعهدها المجتهد هى حمل المسلمين على أن يعيشوا دينهم فعلا وتطبيقا . وأداء هذه المهمة يتطلب الالمام بقواعد التربية .

(8) والى جانب معرفة المجتهد باحوال أمته يجدر به ان يتعرف على مواطن القوة والضعف فى المدنيات الاخرى فمدنية الغرب مثلا فيها من عناصر القوة فى الاسلوب العلمى وفى الاختراع ما ينبغى الحصول عليه والعمل به . ولكن العلم والاختراع وما حققاه فى الغرب من انجازات فى حقول غزو الفضاء وتفجير الذرة والعقول الالكترونية والاوتومية فى الصناعة والهندسة البيلوجية وما تشتمل عليه من تلاعب بالوراثيات (الجينات) وطفل الانبوب الزجاجى وزرع الاعضاء فى جسم الانسان وتعريف الموت والحياة كل هذه الانجازات العلمية خلقت للانسان المعاصر مشاكل واخطارا اجتماعية الى جانب المنافع الممكنة . وعماء الدين والاخلاق والتشريع فى الغرب لم يتوصلوا بعد الى حلول ناجعة للعديد من المشاكل والاخطار المحدقة بالانسانية . وهى تتطلب من المجتهد المسلم فى عصرنا هذا ان يكون مطلعا بصورة مباشرة على المسائل هذه والمشاكل التى تنجم عنها ليجد الحلول الاسلامية الناجعة لها .

(9) نظرا لتعقد الحياة العصرية وتنوع المشاكل واتساع العلوم وتطبيقاتها على الحياة اصبح من الضرورى ان يتخصص المجتهد فى حقل واحد من حقول المعرفة . وان يتنوع المجتهدون وفق الاختصاص وان يصبح الاجتهاد عملا تعاونيا بعد ان كان فرديا وان تؤسس مجالس اجتهاد يحضرها مجتهدون من شتى الاختصاصات . فلم يعد فى وسع المجتهد الواحد ان يلم بكل علوم الدنيا والدين ويجد الحلول لكل مشاكل الانسان فى هذا الزمان.

(10) نستخلص من كل ما مر اعلاه ان العالم الاسلامى اليوم هو فى امس الحاجة الى قيادة دينية حكيمة قيادة تتصف بالتقوى والعلم (علوم الدنيا والدين) والحكمة والشجاعة فى الافصاح عن الرأى والقدوة الصالحة . وهذا ما يجب ان يحسب له الحساب فى تكوين المجتهد فى عصرنا .

المقترحات

أ ـ تكوين المجتهدين :

ان بروز المجتهدين المجددين العظام نادر فى التاريخ وهو منحة الهية ولا شك • فقد كان المجتهد فى ما مضى يبزغ فى بيئته بصورة طبيعية تلقائية من دون اى تخطيط أو قصد من قبل المجتمع الذى ينبت فيه • وكان الاجتهاد مقتصرا على العلوم الدينية غالبا • أما اليوم وقد اشتدت الحاجة الى العدد الوافر من المجتهدين على اتساع العالم الاسلامى فنحن ندعو الى تشجيع بروز المجتهدين باعداد كافية كما ندعو الى الاجتهاد فى علوم الدنيا والدين على السواء • وها نحن فيما يلى نشير الى بعض الاسس المقترحة لتكوين المجتهد :

(1) ان يكون قد نشأ على الايمان والتقوى •

(2) ان يكون قد نشأ على حب العلم والتواضع امام الحق والحقيقة فلا يخضع لمؤثرات ذاتية او خارجية تزيغه عن الحق والحقيقة •

(3) ان يتحلى بالصبر فلا يكون سريع الهياج والانفعال ولا سيما ازاء غير المسلمين أو الذين يختلفون معه فى الرأى •

(4) ان يكون داعيا وعاملا لوحدة المسلمين رافضا التمذهب والتعصب اللذين يسببان الانشطار بين المسلمين •

(5) ان يكون قد درس واحدا من العلوم المضبوطة (دراسة معمقة) على الاقل اذا كان اجتهاده فى علوم الدين وان يدرس العلوم الدينية اذا كان اجتهاده فى العلوم الدنيوية • ونقترح ان يكون درس الصحة مطلوبا من الجميع •

(6) ان يتقن لغة اجنبية واحدة على الاقل الى جانب اتقانه العربية .

(7) ان يكون قد مارس (او يمارس) خدمة عملية فى الحياة كعامل او مزارع أو تاجر أو طبيب أو محام الى غير ذلك •••

(8) ان يكون اجتماعيا ذا شخصية جذابة وعاطفة انسانية رحيمة يحسن ممارسة التعاون مع الآخرين فى التنظيم والقيادة •

(9) ان يكون شجاعا فى دفاعه عن الحق والاصداع برأيه •

(10) ان يكون مفكرا واقعيا فى حياته حكيما فى تصرفاته صادقا فى وعوده ومواعيده وتحمل مسؤولياته .

ب ـ مجمع المجتهدين :

نقترح انشاء مجمع علمي رفيع المستوى يدعى «مجمع المجتهدين» ينتمي اليه البارزون المتازون من خريجي الجامعات ممن عرفوا بصدق العقيدة وتقوى الله . ويرغبون في تكريس اوقاتهم كلها او جلها لخدمة الشريعة الاسلامية • اشخاص ليست لديهم اطماع مادية او سياسية ويعتبرون انتماءهم لهذا المجمع اسمى ما يطمحون اليه في هذه الحياة •

الحد الادنى للمستوى العلمي المطلوب للانتماء لهذا المجمع هو «دكتوراه الدولة» او ما يعادلها او البروز في العبقرية والانتاج بدرجة لا تقل ان لم تفق حملة دكتوراه الدولة •

ان الانتماء لهذا المجمع يكون مدى الحياة . البحث العلمي والانتاج الفكري فيه حر ومستمر • تهيأ للعضو فيه الوسائل والفرص للدرس والبحث والسفر في سبيل الاتصال بمراكز البحث والتحري في العالم وتجلب الكتب والوثائق والوسائل الآلية التي يتطلبها الباحث •

البحث والدرس والتدريس في المجمع لا يقيد بزمن فهو مستمر وللمجتهد ان ينظم اوقات درسه وتدريسه كما ينظم اللقاءات مع زملائه او طلابه حسب مواعيد متفق عليها بكل حرية • فالدرس والتدريس في المجمع حران فلا امتحانات ولا شهادات • درس وبحث وانتاج حر • المجتهدون يحاضرون وينشرون في حقول اختصاصاتهم المتنوعة فيحققون الاشعاع الفكري والديني للعالم الاسلامي كله • ان عالمنا الاسلامي لفي أمس الحاجة اليوم الى العديد من «مجامع المجتهدين» في شتى أنحاء المعمورة • ومتى تعددت هذه المجامع في شتى انحاء العالم الاسلامي فيمكن اذذاك التعاون فيما بينها وتبادل الزيارات فيما بين اعضائها .

ج ـ مجلس شورى المجتهدين :

لم يعد الاجتهاد الفردي في نظرنا كافيا لمجابهة قضايا العصر التي يعيشها العالم الاسلامي بل لا بد من شورى بين ذوي الرأي من المجتهدين • فالله سبحانه خاطب نبينا (عليه الصلاة والسلام) بقوله «••• وشاورهم في الامر •••» (آل عمران 159) •

كما قال تعالى في وصف المؤمنين «وأمرهم شورى بينهم» (الشورى 38)•

فالشورى ينبغي ان تمارس في كل نواحي الحياة الاسلامية بما في ذلك الشؤون العلمية والدينية • ولذلك فنحن نقترح تأسيس مجلس شورى

اسلامي يضم ابرز المجتهدين في فروع الحياة المختلفة . نذكر على سبيل المثال لا الحصر الاختصاصات التالية :

المجتهدين في العلوم الدينية .
المجتهدين في الاقتصاد والسياسة والادارة .
المجتهدين في الشؤون الدولية والدفاعية .
المجتهدين في التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع .
المجتهدين في علوم الحياة والطب وعلم البيئة .
المجتهدين في الرياضيات والفلك والهندسة .
المجتهدين في الفيزياء والكيمياء وطبقات الارض .
المجتهدين في الزراعة والصناعة والتجارة .

ان مجلسا كهذا يضم ابرز العلماء المجتهدين في العالم الاسلامي يكون بمثابة الدماغ المفكر والموجه لحياة المسلمين . ان العالم الاسلامي في أمس الحاجة اليوم الى توحيد الفكر وتوحيد الاتجاه والسير الى الامام بشكل حركي نام . ونرجو ان تصبح لغة المجتهدين (أفكارهم وأفعالهم) منسجمة مع روح العصر ومتطلباته بحيث تنتهي القطيعة وتزول الفجوة بين حملة العلوم الدينية وحملة العلوم الدنيوية فالكل يحيون علماء دنيا ودين في الوقت ذاته .

ونحن مع ابداء اجلالنا وتعظيمنا للائمة المجتهدين من السلف رضى الله عنهم جميعا وجازاهم أجزل الجزاء على ما أسدوه من خدمات للدين كانت تلائم عصورهم . فانا ندعو اليوم الى تكوين جديد للمجتهدين تكوين يواكب متطلبات العصر الثقيلة . نحن في أمس الحاجة الى مجتهدين يشخصون الداء ويصفون الدواء للمجتمع الاسلامي من جهة . ويخططون ويرشدون لتحقيق مجتمع اسلامي جديد قوي يتسلح بالايمان والفضيلة وعلوم الدنيا والدين والعمل الصالح .

من الجهة الاخرى . أختم تاليا البيتين المشهورين :

لسنا وان أحسابنا كرمت يوما على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

د. محمد فاضل الجمالي

راهنت على انتصار الحبّ ..

شعر : الصادق شرف
(أبو وجدان)

حين اندحار السلطربوية يحقن الراعي ـ ضد من دحر سلطته ـ رعاياه ، ويتعملق الضياع في اذهان المحقونين فتحق الهـزيمة الحضارية على القـادمين .

ها فاض بي ألمسايَ : الروح والجسدُ   فالحُزْنُ عدّدني .. لو جف أنفردُ
الضوء بات يسد الباب في جسدي   ما عاد يقدر ـ خلفي ـ يختفي أحدُ
يا أيها الأنتَ لا تقربْ لنافذتي   فالليل منطفيءٌ ، أُبْعُدْ سيتّقدُ
جسمي إذا ما دهاهُ الضوءُ منفقدٌ   يخلي المكانَ لما قد كنتُ أعتقدُ
مرآتهُ عميتْ بعد الطلاء .. وهلْ   يرنو قفاها إذا لم يغشه الرمدُ ؟ !
لا تَنْتَمِي لمرايا الزيف نافذتي   لفتحها أرغم الأكمامُ .. تبتعدُ ..
الكُمّ مفتاحُ غيري .. قُفله بيدي   وحين يَفْتَحُ مصراعيه .. أتّصدُ ،
سيان عندي المفاتيحُ التي صَدئتْ   في ثغرها .. ولساني حين ينعقدُ !
تعقّد الخيط ، والخذروف أحسبُهُ   قد فك عن خيط حبي كل ما عقدوا
يا عاقدَ الخيط لا تنفثْ بهِ نفَسا   فالنفث ينقص أنفاسا لها عدد
إن كنت تحسبُ خيط العِقدِ منفرطا   زادت لدى الضوء في حسبانك العُقدُ

* * *

الموجُ حط على أقدام شاطئنا   رحلا وولى .. فأرغى إثره الزبدُ
لا يَسْحَبُ المَوْجُ ساقيه لداخله   إلا لتخرجنا أمواجهُ الجُدُدُ
أخشابُ مركبنا ظلتْ على لجج   تعلو .. وتنزل .. بالأمواج تتحدُ

يا والدَ الموج .. كيف الريحُ مكّنها ـ من محتوى مقلتيّ الوالدِ ـ الولد؟
لا تفقأ العينَ كفُّ اللين ، يفقؤها عودٌ تخشّبَ.. لم يفطن به البلدُ !
عودُ الثقاب إذا ما حك جلدتهُ فوق الرصيف سرى في الشارع الكمَدُ
لن يحزن العاشقون اليوم في بلدي إنْ يرجم الحاقدون الأمس من عبدوا
هذي الجباه على وجه التراب لها آثار تجعيدةٍ منهم .. وقد سجدوا
بعضَ الوجوه نرى ؟ أم تلك أقنعة ؟ بعض إذا سقطوا، بعض لمن صعدوا
هذا لباس أناس كيف نلبَسُهُمْ ! إن نحن ننزعهمْ .. في غيرنا وجدوا
إن يخلعوا ما لبسنا منهم انكشفوا والثوب عند سوانا سوف لن يجدوا
نحن العرايا.. وليس العُرْيُ منقصة النقص أن يختفي في ثوبنا الحسدُ
العريُ للجسم ستر.. أنت ترفضه لولا الحواجز لم يكفر بنا أحدُ
عريُ المرايا يرينا وجهنا .. ولكنْ نخفي الوجوهَ إذا أربابها فسدوا!؟
لا يسقط الجسم من كرسيه أبداً إلا إذا ما تخلّى صلبَه السندُ
ثلاثُ سوق عليها الدارة انغلقتْ لو خان واحدة منها سينهردُ
ساقان : يمنى ويسرى.. والعصا بيد.. والحملُ يرتفعُ.. والأذياب ترتعدُ
عرٍّ الوجوه وهل تخفي الوجوه؟ أرى انثى المساحيق ـ غير الزيف ـ لا تلدُ
لا للزجاج يكون الوجهُ ، مرّ به حشد من الغفل لِلإتلافِ قد حشدوا

* * *

ما للفتى التونسيِ استلّ منجلَهُ كي يحصدَ الشوكَ إذ بالورد ينحصد؟
يا تونسَ الحبِّ .. بانَ الحقدُ قنبلةً في خبزة الشعب أخفاها الألى حقدوا
ثارت براكين كل الفاشلين .. وهل مثلُ النجاح مثير سيل من خمدوا ؟
هل البراكين تغدو منجما ذهباً ؟ لا ! والفقير غنيٌّ حين يجتهدُ ،
النهْبُ يلعبُهُ الأفراخُ في وضَح حتى إذا كبُرُوا .. سرّا له نَهَدُوا
هذي الفروخُ اذا استشرت مخالبها تطغى .. فتطمع أن يَثْغو لها الأسدُ
ما قلّدَ الفرخُ غيرَ الطائرين ، وما أدهى المصاب ! إذِ الإنسان ينقردُ

مَن علّم القردَ ذبحَ الشاةِ همّ بِه   والقرد خنجرُ ذو حدين.. يُعتَمَدُ
والكهرباء تضيءُ البيتَ.. ينسفه   سلك تعرى بسلك العُري يتّحدُ
واحمر قبلُ الحزامُ الأحمر ، انتبهي   ياتونس(الأحمران) اليوم. كيف غدُ؟
الإصبعان إذا ما كان رفعهما   يعني انهزام غدٍ .. تنبتُ منك يدُ
بعضُ الاصابع أعواد إذا يبست   تغدو قواريرغازٍ .. والهوى يقِدُ !

★ ★ ★

لا يسلمُ الوطنُ الغافي على شططٍ   شطان في قمتيه: الصفر .. والعددُ !
الرقم في الصفر موجود بداخِلِهِ   والصفر أشياءُ حين الرقم يبتعدُ
والغفُ في الناس مولودٌ وإن كرهوا   والناس لا شيءَ حين الحب يفتقدُ
تنهي الحباحبَ شمسُ الحق حين بدتْ   من أخلصوا الحبّ تحت الشمس هم صمدوا
راهنت أن انتصار الحب مَهْرُ غدٍ   والحب إن يضعف فهل يرضى به أحد؟
أحبّ حبك جبارا يهَابُهُ مَنْ   يقربْ .. فإن ينأ..مرّا يصبح الرغدُ

تونس 10 / 1 / 1984

الصادق شرف

صدر للشاعر **الصادق شرف**

① شواطىء العطش	مجموعة شعرية صدرت سنة 1978
② الحب .. مع تأجيل التنفيذ ! ..	مجموعة شعرية صدرت سنة 1979
③ حروف تجر الفعل الماضي	مجموعة شعرية صدرت سنة 1980
④ بحجم الحب أكون	مجموعة شعرية صدرت سنة 1981
⑤ من حكايات « خالي عزيز »	مجموعة قصصية صدرت سنة 1982
⑥ ... وأجهش بالغضب !	مجموعة شعرية صدرت سنة 1983

أزمـــة حضاريّـــة

بقلم : محمد مصمولي

ـ 1 ـ

لم يعد مجرد افتراض أن يكون « الحلم المزعج » كما يلي :

ـ استحالة الشارع الى روضة أطفال ..

ـ استحالة الحافلات والسيارات الى لعب كبرى مهشمة أو فى حالة احتراق ..

ـ استحالة زجاج بعض البنوك والمقاهى والمؤسسات والمغازات الى .. هشيم ..

ـ استحالة المدينة الى « ثلاثاء » حزين ..

ـ استحالة زحفة بنى هلال الى شيء ممكن الحدوث .. حتى فى أواخر القرن العشرين ..

ـ استحالة الركوب على عربة الخبز .. الى محاولة وقحة لتحريك التاريخ والرهان الحضارى من أمام الى خلف ..

نعم لم يعد مجرد افتراض أن يكون هذا « الحلم المزعج » .. واقعا ..

ومع ذلك فقد يخطر لك أيتها الصديقة العزيزة أن تستغربى عدم استملاحى ـ بداية من ثلاثاء ثالثة الاثافى ـ لغزل « أراغون » المتمثل فى قولته : « أنت جميلة مثل شعب يتمرد » ..

آه .. لقد أصبح من الجائز القول .. بأن جمالية تمرد بنـي هـلال .. في امرأة .. ما .. هي قبح له رائحة احتراق .. الحافلات و .. القنـابل المسيلـة للدموع .. دون أن تكون له رائحة الخبز ..

* * *

ـ 2 ـ

ـ ونحن مع « اللا » الجماعية اذا كانت صيحة « أمعاء » لم تركب رأسها .. أو اذا كانت احتجاجا لم تركبه رؤوس لها أقنعة بلا وجوه ..

ـ ونحن مع « الـلا » الجمـاعية اذا كانت تعبيـرا حضاريـا عـن « إرادة الحياة » .. لا اذا كانت دفقا انفعاليا هيجانيا متهورا أعمى لا يميز بين الحقيقة والزيف ، وبين الصـالح والطـالح ، وبين الحضـارة والغـاب ، وبين الخبـز والديمقـراطية ..

ـ ونحن مع « الـلا » الجمـاعية المسبوقة والمرفوقة بالوعي وباحترام الرأي المغاير.. وبالتحليل للواقع المرفوض.. وبالتصور للبديل الممكن ، لا.. مع هذه « اللا » التي تأتي على الحرث والزرع ، وتمارس القمع والنهب والسحق لمكاسب الشعب باسم الشعب

* * *

ـ 3 ـ

وبقطع النظر عن الجزئيات والهوامش في هذا « الحلم المزعج » الذي لم يعد حلما .. فلا بد :

ـ من إعادة نظر في كل شيء .. بدءا .. من كل شيء ..

وذلك لان ما حدث ليس سوى .. « أزمة حضارية » .. لا أكثر ولا أقل ..

م. م.

عـــري الـذاكرة

إبداع: نعيمه الصيد

— I —

عـارية .. شجـرة خـريفية ..
أتمـدد فـوق السريـر ..
وصـدر الوسـادة يئـن ..
فـى فضـاء التذكـر ..

— II —

امتطى وجعي ..
صهـوة العمـر وراء الشفـق ..
ومـن أخـاديد الذاكـرة ..
الموشومة بسمرة وجهك العربي ..
يسبقنى حنيني اليك ..
فـراشة تائهـة ..
شـاردة فـى معـابر القلـب ..
الـوجيعة بالشـوق الخصـب ..

— III —

يعبرني وجهك قمرا ..
يغمـر ضـوؤه تخـوم أزقتـى ..

وايقاع صوتك ..
اجنحة تخفق فى الذاكرة ..
تفتح ابواب الحلم ..
فأسبح وردة تحت مياهك ..
دموع اطفال تغسلني ..
تطهرنى من الخطيئة ..
يأتينى صوتك حيا بين أضلعى ..
يردد فى خلجات الذاكرة :
ـ « انت نجمتى ..
علقتها على خصلة شعرى الحريرى ..
فالزهر السيسبان فى رمله ..
وصارت للصحراء حياة ..
أبقي لي بيدرا .. عاصفا .. لا يجف ..
أنا الشاعر .. الطامع فى كؤوس رضاك ..
ترشفها شراييني قطرة .. قطرة ..
أبقي لي سكني ..
فى الليل تمسحين وجهى ../ تعطرينني ../
تنامين معى .. / ترضعينني عشبة جنونك ...
حتى ...
تصير اللذة صراطا الى برزخ الصحو ...
حتى ...
تصير صلاة جسدينا فناء ورقصا ...
على حافة الملكوت ...
ويبقى ...
حبك قوس ضوء ...
أمارس فيه طقوس التعرى ...

واضفر لـه خصلات العمر بساط عشب ...
وتبقين يا حبيبتي مائي في شبق الحلم ...
وعطرى فى سرير التشهى ...
يا حبيبتي ...
يا مهرة دفء ... فى طبعها جوهر النار ...
يا نخلة لقحتها صحراؤنا بجذور الشمس ...
أنا الشاعر المسكون بالوجع العربى ...
أبارك كل تغريدة تحت جلد عشقك ...
فهل من مخبإ فى التالق بين براريك ..؟

— ٢٧ —

ويبعد الصوت ../ يتلاشى رويدا ../ رويدا / أبحث عنه ../ اتشبث بالكلمات .. أجوس كينونة النبض .. / أبحث عن شعلة فيض ../ أبحث عنك يا شاعرى ../ يا اشتهاء كل فصولى ../ لتضمني ../ تخبئني تحت جناحيك ../

حلما يطاول حدود الليل ...
حلما أطالع فيه متون احتراقى ...
واجدك ...
أجدك غير بعيد ...
نابعا من جسمي ...
ساريا في الشرايين مع دمي ...
فكيف ..؟
كيف يا صغيرى أبحث عنك ..؟
وأنت الأقرب ...
الأقرب مني ... إلي ..؟

نعيمة الصيد
تونس 83/12/1

مِنْ فلسْطين وأرض كنعان إلى قرطاج

بقلم : د. محمد فنطر

ليس المجال هنا(*) للحديث عن تأسيس قرطاج(1) ولا عن الظروف السياسية العسكرية التى ألقت بها فى مغامرة الوجود حتى أصبحت تشرف على مصير غربى البحر الابيض المتوسط حينا من الدهر وذلك من تأسيسها فيما بين أواخر القرن التاسع قبل الميلاد والنصف الاول من القرن الثامن الى سقوطها تحت حوافر خيل الرومان فى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد . قرون سبعة عاشتها قرطاج تشع على كامل غربى البحر الابيض المتوسط من أعلى ربواتها وسقت مياه حضارتها شمال قارتنا الافريقية تلك الربوع التى يغطيها اليوم اسم « المغرب العربى الكبير » من برقة الى ضفاف المحيط أرض مضيافة متفتحة محافظة ثرية سخية ما انفكت تقبل على الحوار الحضارى منذ أقدم العصور الحجرية كما تشهد به أطلالها كالتى كشف عنها الغطاء بقفصة وضواحيها وبهرقلة وبقربة وغيرها من المواقع التى تحمل بصمات انسانية ما قبل التاريخ.

أقبل الكنعانيون من ربوعهم المشرقية من لبنان ومن فلسطين ومن الشام ولقد أبحرت سفنهم مثقلة بضاعة وحضارة وتجارب عديدة مختلفة منها ما كان يستجيب لحاجة مادية ويساهم فى حل مشاكل تثيرها الحياة اليومية فى البيت والحقل والمتجر والشارع ومنها ما كان يستجيب لحاجة روحية وساعد على بناء الجسر بين المادة وما وراءها بين الانسان (2) وضعفه وطموحه والقوة الكامنة فى المحيط على اختلاف عناصره ، أقحم الكنعانيون المشرق « ونور الشرق » فى المغرب حتى ناله بصيص من نور ، كالجسر كان محكم البنية متينا يسر اللقاء

(*) ألقيت هذه الدراسة فى المؤتمر الاول للتراث الفلسطينى .

(1) Mh. FANTAR, Carthage, la prestigieuse cité d'Elissa, M.T E. Tunis 1970.

(2) Mh. FANTAR, Eschatologie phénicienne punique M.T.E. Tunis, 1970.

بين المشرق والمغرب وانحسرت ظلمات المغرب وتسرب اليه النور تجسده تجارب الشرق فيميادين الفلاحة والملاحة والعمارة والتجارة والصناعةوالعقيدة والفن على اختلاف مظاهره التشكيلية وغيرها ولا ننسى الكتابة تلك الاداة العجيبة التى تغلبت على الفناء أو كادت فهى التى مكنت الانسان من تخطى المسافة زمنية كانت أو جغرافية حتى تراه يتصل بغيره عبر القارات والدهور ثم بالكتابة الابجدية التى ابتدعها بنو كنعان انطلاقا من تجارب أخرى مشرقية كالكتابات التصويرية أو المسمارية المقطعية اصبح الانسان لا فقط قادرا على أكتناز التجربة واستثمارها فى كل ميدان أراده بل كذلك على الاشعاع والحوار مع القريب والبعيد من بنى البشر .

يربط الجسر الكنعانى بين السواحل الكنعانية حيث كانت تتجمع تجارب المشرق السامى وبين السواحل الافريقية ولعلها كانت اذ ذاك تلقب باللوبية وقرطاج كانت هنا رأس الجسر فيها تجمع الواردات ومنها تنشر فى الارض فكم من قرية لوبية سقتها مياه كنعان ما به استغلظت واستوت على سوقها تعجب السكان وتمتعهم رفاهة وجمالا وقوة وسلطانا .

كان اللقاء بين الكنعانيين واللوبيين وكان اللقاء بين الحضارة الكنعانية وما حولته السفن الكنعانية من أدوات ومواقف وأفكار وتجارب وبين الحضارة اللوبية البدائية المتميزة فنشأت الحضارة البونية صفة مشتقة من لفظ لاتينى « بون » يشير الى الذين أسسوا قرطاج واتخذناه مصطلحا للتعبير عما تحولت اليه حضارة بنى كنعان فى دنيا اللوبيين فالحضارة البونية نتيجة لقاء الحضارة الكنعانية بالحضارة اللوبية على أن ألوان الحضارة الكنعانية بقيت مسيطرة ويشهد لهذه الرؤية للحضارة البونية ما شخص من أطلال بونية فى العديد من المدن والقرى المنتشرة فى مختلف الاقطار المغربية من الجماهرية الليبية الى المغرب الاقصى مرورا بالجمهورية التونسية والجزائر .

فقد يطول الحديث عن العناصر الكنعانية التى دخلت فى البنية الحضارية البونية واذ يتمحور الحوار بيننا خلال هذه الايام الفلسطينية المباركة حول التراث الفلسطينى ولاشك أن فلسطين بين الشام ولبنان والاردن تمثل لب كنعان وقلبها النابض واذ نحن معا فى ظل مدينة حلب التى عرفها التاريخ مناضلة صامدة مشعة تضىء كزيت زياتين ربوعها نسعى الى معرفة التراث الفلسطينى القديم والحديث ونسعى الى تشخيص رصيد فلسطين الحضارى بحثا وتنقيبا عنه فى فلسطين وفى خارج فلسطين .

أريد أن أساهم بقسطي في هذا المؤتمر مشيدا بهذه البادرة التي ترفع من شأن القلم والفكر والبحث العلمي وتدخل بهذا وذاك الى ساحة الوغى وتسخر هذا وذاك الى القضية الكبرى وتحرير الارض تلك التي عرفت القلم والحرف منذ آلاف السنين وقبل أن يكون بنو اسرائيل وقبل أن يكون التوراة كتابا يقرأ في معبد سليمان ولا في البيع .

على أنني سأقتصر على بعض الامثلة أخذتها من عالم الالهة ودنيا الاحياء والطقوس الجنائزية فمن عالم الآلهة أذكر أن جل أعضاء دار الآلهة في فلسطين دخلوا قرطاج والمدن اللوبية البونية ومن أعظم الآلهة والآلهات في فلسطين وفي قرطاج بعل وعشترت (لا عشتروت خطأ) ومن آلهة كنعان ملقرت وأشمون ودجان (3) وكم نددت آيات التوراة بالذين كانوا يعبدون بعل ووعشترت مشركين بهما آله ابراهيم ويعقوب واسحاق والاسباط ، أليس هذا مما يدل على الصلة المتينة التي كانت تربط بين فلسطين أرض كنعان وقرطاج والربوع اللوبية التي كانت متصلة أشد ما يكون الاتصال بقرطاج وبالحضارة القرطاجية البونيــة ؟

ولننظر الى توفات قرطاج ذلك المعبد الذي كان مخصصا لعبادة بعل حمون وزوجه تانيت فهو في ملامحه يشبه توفات التوراة أي ذلك المعبد الذي كان الكنعانيون يترددون عليه للعبادة وتقديم القرابين البشرية وما ورد في ابراهيم وابنه اسماعيل شديد الصلة بالتوفات وطقوسه وتثبت الحدث كيف كان الانبياء ينطلقون من محيطهم ويسمون به الى ما فوق المادة والى ما فوق البشر بحثا عن القوة المبدعة خلقا وتكوينا وتصويرا وتنظيما .

أما بالنسبة الى المعابد المشيدة أو قل بالنسبة الى العمارة الدينية فلا شك أن معبد سليمان أو مقدس سليمان من بناء بني كنعان ومعلوم أن سليمان كان طلب من حيرم ملك صور أن يرسل له من يساعده على اقامة معبد لعبـادة آله موسى عليه السلام فكان الهيكل كنعانيا في شكله وتصميمه وفي زخارفه بل حتى في المواد التي استخدمت لبنائه من حجارة مفصصة وأخشاب قطعوها من غابات أرز لبنان الفواح ومن أهم العناصر في هذا المعبد مدخل يتقدمه عمودان ثم

(3) Mh. FANTAR, Le Dieu de la mer chez les Phéniciens et les Puniques Rome 1977 — Idem, Le Dieu Dagan, Cahiers de Tunisie, T. XXI (1972) Tunis 1973, p. 7-31.

البهو أو السقيفة ومنها الى الصحن أو الفناء وفى وسط الصحن قدس الاقداس تلك عناصر أساسية نجدها فى غالب المعابد السامية وهى التى نجدهـا فى الحرم بمكة المشرفة وهى فى رواية الماضى السحيق من تصميم وانشاء ابراهيم الخليل ذلك الذى ربط الصلة بين تقاليد وادى الرافدين وبين أرض كنعان بل وكأنه يجسم وحدة الشعوب السامية مـن دجلـة الى ضفاف البحـر الابيض المتوسط بما فى ذلك جزيرة العرب التى مازال بعضهم يعتبرها أم الشعـوب السامية قاطبة ولعلها منبع النواة التى سيمت كل هذه الشعوب (هنا استخدم فعل سَيَّمَ يسيم أىجعله من بني سام أو أدخله بوتقة الحضارات السامية لغة ومعتقداً ونظرة تجاه الكون وسلوكا) وما اختلاف الشعوب السامية الا صدى لاختلافهم الاصلى وباختلافهم اختلفت نتيجة اللقاء بالنواة العربية أو السامية الاولى ولذلك لا نستغرب وجود فروق بين البابليين والاشوريين والاراميين والكنعانيين والعرب فى شمال الجزيرة والعرب فى يمنها أى فى جنوبها .

والعناصر المعمارية التى نجدها فى مقدس سليمان وفى الحرم وفى مكـة المشرفة نجدها كذلك فى معبد مدينة كركوان بالوطن القبلى بتونس ومعلوم ان كركوان من المدن البونية التى مازالت محتفظة بملامحهـا البونيـة دون ما اختلاط بما جد لما انتصر الرومان وسيطروا عـلى الديار القرطاجية البونية . لا يسمح المجال هنا بالحديث عن مدينة كركوان وسنكتفى بتقديمها فى كلمات : ان أقدم وثيقة أثرية تعود الى هذه المدينة لا تتجاوز القرن السادس قبل الميلاد ثم انها خلت من سكانها حوالى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد إبان الحرب القرطاجية الرومانية الاولى أى حوالى 253 قبل الميلاد .

ان المعالم التى كشف عنها الغطاء فى هذا الموقع الاثرى تبين بوضوح كامل الصلة التى تربط بلادنا بأرض فلسطين وسأقتصر عـلى تقديم البعض منهـا مشيرا الى أصولها الكنعانية الفلسطينية ومن بين هذه المعالم أبـدأ بالمعبـد البونى بمدينة كركوان .

كشف الغطاء على اطلال معبد بونى فى مدينة كركوان ولعله اكبـر المعابـد البونية التى عثر عليها حتى الآن بغربى البحر الابيض المتوسط ، وبعد النظر فى شكله وعناصره الاساسية ثبت أنه لا يختلف جذريا عـن المعابد المعروفة بارض كنعان بل نجد فيه كل العناصر التى منها يتركب معبد سليمان بالقدس الشريف وهو كما ذكرناه منذ حين من تصميم وتشييد فنيين أقبلوا منمدينة

صور بأمر من ملكها حيرم خلال القرن العاشر قبل الميلاد (4) ، ففى كلا المعبدين نجد المدخل ذا العمودين الاماميين ونجد البهو أو السقيفة ثم الصحن وفى الصحن مصطبة تعوها الغرفة المقدسة أو قدس الاقداس ، ومما يلاحظ بمعبد كركوان لواحق تتمثل فى غرف مختلفة الوظائف على أن الجناح الايسر كان مخصصا لورشة كان الساهرون على شؤون المعبد يستخدمونها لصناعة تماثيل من طبق مفخور علها تباع للزائرين الذين يبتغون تقديم قربانهم أو هدية لآلهة المعبد (5) .

البوابة المتسللة :

ومن بين العناصر التى ازيح عنها التراب بمدينة كركوان تجدر الاشارة الى ألاسوار التى كانت تؤمن حمايتها من مفاجآت الزاحفين عليها وقد يطول الحديث عن هذه الجدران الكثيفة التى أقيمت حول المدينة لكن سأقتصر هنا بوصف احدى البوابات التى تصل بين المدينة وما وراءها وهى البوابة التى لقبت ببوابة شمس الاصيل ولها شكل طريف لا نعرف له مثيلا حتى الآن فى غربى البحر الابيض المتوسط ذلك أنها بوابة متسللة فى حين أن غالبا ما تكون البوابة قاطعة فالبوابة القاطعة هى التى تكون فتحتها أو ثغرتها متعامدة مع الجدار أو المترسة أما البوابة المتسللة فهى توازى الجدار أو المترسة وكأنها تنزلق أو تنساب فى خط متواز مع الجدار أو المترسة ، فمع هذا النوع من البوابات تتوقف المترسة وكأنها وصلت الى نقطة نهايتها ثم تنطلق من جديد مع رجوع الى الوراء وتباعد عن الخط السابق بمسافة تساوى عرض البوابة التى تتسلل بين المترستين .

انها بوابة طريفة الشكل وهى كما قلت فريدة من نوعها فى الربوع المغربية لكن نعرف لها مثيلا فى أرض فلسطين وقد عثر عليها فى تل النصبة (6) .

تلك بعض الامثلة التى تثبت متانة الصلة التى تربط بين الربوع القرطاجية فى تونس وبين فلسطين القديمة أرض كنعان وقد ذكرناها على سبيل المثال لنترجم عن التجانس الحضارى بين جناحى العروبة فى المغرب والمشرق بين تونس وفلسطين (7) .

محمد فنطر

---

(4) Il Rois, V,
(5) V. Karaghéorgis, CRAI, 1968 pp. 6-13 et 1969 pp. 515-522.
(6) A.G. Barrois, Manuel d'Archéologie Biblique, t. I Paris 1939, pp. 194-195.
(7) P. Cintas, Manuel d'Archéologie Punique vol. I 1976 et Vol. II 1976.

لوحة قصصية

وتحركت القطة

بقلم: د. عبدالرحمان أيوب

جـالس

نظـره مثبـت .

منكب على حافة المائدة/الطاولة واليد اليسرى متدلية .

بين الابهام والسبابة صفحات من جريدة الشعب . سجارة تشتعل جنب فنجان من القهوة وعلبة سجائر مستوردة من تونس نصفها مستهلك .

الساق على الساق . بدلة صيفية جديدة . ربطة عنـق زرقـاء بنفسجيـة اتلنقيط على قميص أبيض .

حبات من العرق على الجبين : حباب قليلة .

لا شيء يدل على شيء آخر . بل الحذاء والجورب : الاول بني ومن صنـف « دون رباط » والجورب أبيض .

مناسق في الالوان : نمط فرنسي فيما يتعلق بالهيئة الخارجية : الهندام ! ما كان يسترعى الانتباه ـ فهو نسخة طبق الاصل (؟ !) للعامة من جمهـور رواد مقاهي الرصيف ـ لو كان « لا ينظـر الى شيء » . بل هـل يستـرعي الانتباه ؟ لم يكن ينظر اليه أحد .

تمر الثواني وأنت تنظر وتنتظر ... جالس ، نظره مثبت .

القطـة ... القطـة (أم القط ؟ ـ لسـت أدري . لـم أتفحصـه/هـا) . لا تـ (يـ) تحرك نحو رأس السمكة الملقى على الارض . الهيئة الخارجية لا

تدل على الجنس . وأختار ــ وأنا حر الاختيار فى ظل الديمقراطية الصامتة : فرديتى المطلقة ــ أن تــ (يــ) كون قطة : يساعدنى فى ذلك ــ فى الاختيار الحرــ ضمير اللغة : التصنيف/التبويب/التقنين ... ما أشبه تــاء الابتــداء فيها بتاء جنس ..! جنس القطة .

القطة حيوان يدرك ــ أمام رأس السمك وعلى الرصيف ــ شهوته الحياتية : تأكل أم لا تأكل ؟؟ القطة تحت مائدة/طاولة « مطعــم السمكــة » بالجزائــر العاصمة . تموء . تموء . تموء . تلح فى تصعيد ذلك الصوت الناعورى الذى يشبه تزحلق العفونات البشرية فى الانابيب المتدلية من أعلى السقوف الىحيث ليست هناك شبكة لتوزيع القاذورات الانسانية ...

وترتمى فى الازقة الباطنية ــ المخيفة : كنت زرت الازقة الباطنية المستقبلة لقاذورات البشرية الباريسية : وذلك يوم أن تقاسمت ــ ولست أدرى ما هو الدافع للاقتسام ــ قارورة النبيذ الخشن المذاق مع المتسكع : لقد أدرك بعد ان مارس حياة « الجد » (بالنصب أم الخفض : الدلالة واحدة فى الــوجهين) ان التسكع ممارسة تعسر ممارستها ــ ونزلنا الازقة نسيــر ونتفحص سيــلان القاذورات المائسة ... الملبدة ... والجرابيع عليها تقفــز قفــزات بهلــوانية منسقــة ...

وانتابنى نوع من الشعور يعسر أن أحدد طبيعته كما لا يعسر أن أحددها :

كنت الغريب بين الجرابيع ... فى أزقة باريس الباطنية .

« الغربة إحساس . التسكع ممارسة إحساس » .

دون شك شاركت فى ارتفاع مستوى القاذورات المنسابة كالحلــزون بين منعرجات الاقواس التاريخية التى تشهد بميراث لــويس الاول الى الرابــع عشــر ...

تدفع القارورة لى مرة ثانية . انعدم الحوار فى الأزقــة . الكحول يرتفــع بالجسد الى ما فوق المادة . الروح مجنحة فوق ...

تحركت القطة . رأسها فقط نحو رأس السمكة الملقى على الارض .

وقــف الجــالس .

ســار .

د. عبد الرحمان أيوب

وجع العرس في داخلي

شعر : لحبيب الهمامي

①

لِمَاذَا الزَّغَارِيدُ يَثْقُبُهَا الرِّيح ؟
فِي مَطْلَعِ العُرْس ..
حَيَّرْتُنِي بِالسُّؤَالْ ،
وَأَنْجَبْتُ يَأْسِي
تُرَى لَمْ أعُدْ مِنْ ضَيَاعِي ؟
وَضَيَّعْتُ عُصْفُورَةَ العِشْق
بَيْنِي وَبَيْنَ رَدَاءَةِ طَقْسِي
تُرَى خَسِرَ القَلْبُ حُبّاً سَيَأْتِي ؟
وَهَنْدَسَ مُسْتَقْبَلَ العُمْر دَاخِلَ مَوْتِي
تُرَى أقْسَمَ الضَّوْءَ أنْ لاَ يَرَانِي سِوَى مَيِّتٍ ..
لِكَي أنتَهِي قَبْلَ أنْ أتَمَكّنَ مِنّي
وَلا أتَأَلّقَ خَارِجَ حَزْنِي

②

وَتَنْدَلِعُ النجْمَةُ الآنَ فِي دَاخِلِي
تَتَدَخَّلُ مَمْلَكَةُ العُشْبِ فِي

وَتَفْرِض نَفْسِي عَلَيَّ
فَيَزْدَحِمُ الدَّمُ بِالضَّوْءِ
يَنْتَصِبُ العِشْقُ مَا بَيْنَ صَمْتِي .. وَصَوْتِي
يُقَاسِمُنِي لُغَتِي وَقُشَعْرِيرَةَ الشِّعْرِ
هَلْ أُوقِدُ المَاءَ فِي ضِحْكَتِي ؟
وَهَلْ أُشْعِلُ العُشْبَ فِي خُطْوَتِي ؟
وأهَشِّمُ أسْئِلَةَ الرُّوح كَامِلَةً ؟
وَأُلْغِي مَوَاعِيدَ مَوْتِي ؟

⑥

عَلَيْكِ سَلَامُ العَصَافِيرِ
هَا أنَّنِي جِئْتُ مِنْ آخِرِي
أخْبَرَتْنِي القَصِيدَةُ حِينَ تَسَلَّقْتُهَا :
انَّكِ امْرَأَةُ البَعْثِ قَدْ جِئْتِ حَامِلَةً أوّلِي
إذَنْ عَجِّلِي
وَصُبِّي الطُّفُولَةَ فِي الدَّمِ
صُبِّي الزَّغَارِيدَ فِي لُغَتِي
أعِيدِي مِيَاهِي لِمَجْرَاكِ .. كُونِي سُؤَالاً يُحَيِّرُنِي
وَمَوْتًا يُؤَسِّسُنِي
وَشِعْرًا يُخَلِّدُنِي
وَافْتَحِي وَجَعَ العُرْسِ فِي دَاخِلِي
عَجِّلِي

الحبيب الهمامي

دور الإعلام الأمني وأبعاده في مسيرة الأمة

بقلم: د. التهامي نقره

الاسلام والاعلام :

الاعلام فن دقيق بالغ الاثر ، له مقوماته وأصوله ومجالاته رافق الناس فى مسارهم الحضارى منذ أن بدأت حياتهم على الارض ، فأبلغهم هداية السماء بواسطة الرسل ، وعن طريق الصحف والكتب المنزلة .

وعلاقة الاعلام بالاسلام قوية ومستمرة ، باعتباره منهاجا شاملا لكل نشاط انسانى فى الحياة ، ودينا ختمت به رسالات السماء . وبعث به خاتم الانبياء الى الناس كافة ، ودعوته لم تزل قائمة باقية على مدى العصور .

وسبيل هذه الدعوة اعلام اسلامى يتلمس طريقه الى القلوب والعقول، شعاره الصدق ، ومنهجه الحكمة ، وهدفه الحق ، وهو الذى جسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلقه القويم ، وسلوكه المستقيم ، ودعوته الخالصة لله ، المتميزة بأسمى القيم والمثل . فمنذ أن بدأ عمله الاعلامى ، أعلن بان الرائد لا يكذب أهله وأن من أشنع الجرائم تضليل العقول بالافتراء ، فيصدق الناس الكذب ، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : (كبرت خيانة أن تحدث أخاك بحديث هو لك مصدق ، وأنت له كاذب) (حديث متفق عليه) .

فالصدق فى الاعلام مبدأ أخلاقى لا يجوز التخلى عنه ، وما يحدثه ترويج الاخبار الزائفة ، والشائعات المضلة من آثار سيئة ، يجعل تبعات المجتمعات الاسلامية ومسؤولياتها فى تنفيذ الكذب ، وابطال الباطل واحقاق الحق عظيمة وثقيلة .

وقد اهتم الاسلام بمعرفة مصادر الانباء ، فأمرنا الله تعالى بأن ناخذ الحيطة فيما يبلغنا ، وأن نعرف مصدره ، حتى ندرك أهدافه ومدى صدقه ، فقال جل شأنه : (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (سورة الحجرات : 6) .

وقديما قال الشاعر العربى :

واحزم الناس من لو مات من ظمإ لا يقرب الورد حتى يعرف الصدرا

فالمؤسسات الاعلامية العالمية غير محايدة فى جملتها فهى تبث المعومات من زاويتها الخاصة بقصد التأثير ، وتحويل مجرى التفكير ، فتتفاعل مع الاحداث التى تهمها ، وكثيرا ما تتجاهل شواغل الشعوب وطموحاتهم ومطالبهم ، بل قد يحملها الانحياز الى المغالطة وتشويه الحقائق ، والسيطرة على مشاعر الناس بطريقة غير مباشرة .

ان معظم وكالات الانباء العالمية ما تزال تحتكر المجال الاعلامى بحكم تقدمها التقنى ، وقدرتها على الالمام بما يجرى فى كل مكان من العالم ، وعلى الاستجابة لكل الطلبات ..

كل ذلك مما يسترعى الاهتمام ويثير الانتباه الى خطر السلاح الاعلامى ذى الحدين ، وماله من دور فى التغيير والتوجيه ، وخدمة مصالح محددة ، وتنفيذ برامج مخططة ، وتحقيق أهداف معينة ، سواء فى عرض الاخبار وسرد الاحداث أم فى التثقيف والترفيه . ومن يعنى بالتحليل والنقد ، يدرك الى أى مدى يخضع الاعلام للمذاهب والفلسفات ، ويتلون بألوانها ، ويفسر وقائع الحياة وفق أفكار تختلف باختلاف التصورات والاعتبارات والغايات .

أما الاعلام الاسلامى فملتزم بالمبادىء التى دعا اليها الاسلام ، وفى طليعتها الاخلاص الخفى ، واعلان الحقيقة فى غير تردد ولا التواء ، مع اعطاء الاعتبار الظرفى وزنه فى اختيار طريقة التبليغ ، ووسيلة الاعلان ضمانا للنجاعة والنفاذ

فخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم أمام الحشود المجتمعة بعرفات فى حجة الوداع ، وعددهم تسعون الفا هى أفضل أسلوب فى عصره لتبليغ وصاياه بواسطة رجال ينقلونها الى كل من لم يشهد هذا اللقاء بكل أمانة وصدق ، تنفيذا لامره : (ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) .

والحق أن الوسائل المتاحة للاعلام فى هذا العصر كثيرة ومتنوعة ، ومن الحكمة أن يخاطب كل جيل بما هو أبلغ وأجدى فى اقناعه .

قال تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) (سورة ابراهيم : 6) . فهذه الآية تشير الى قاعدة متجددة ، وهى انتقاء التعبير الاعلامى الملائم ، واختيار أفضل الوسائل للتبليغ فى عصر أضحت اجهزته الاعلامية تعمل دوما على تقريب المكان ، واختصار مسافة الزمان ، وابلاغ اكبر عدد من الناس فى أسرع وقت ممكن ، بما يقنع ويؤثر .

فالسينما مثلا كوسيلة اعلامية مرئية ومسموعة ، لها تأثيرها العميق على الافكار والعواطف ، وسلطانها الفعال على جذب الاتجاهات والمواقف ، لا يجوز تجاهلها أو اغفالها اليوم ، فى حين أن البلاد المتقدمة تستغلها أيما استغلال ، لخدمة اغراضها القريبة والبعيدة وتبذل فى ازدهار هذه الصناعة لتكوين المخرجين والمصورين والمؤلفين والممثلين جهودا كبيرة ، وتنفق أموالا طائلة .

قال لينين فى احد مؤتمرات الحزب الشيوعى :

(السنما مدخل الثقافة والفن الى الجماهير ، وان عشرة من أعلام السنما يرجحون بعملهم السنمائى تأثير ألف كتاب فى دعم الحزب ، ونشر أصوله) .

وما قيل فى السنما يقال فى الشاشة الصغيرة (التلفزيون) الذى يقتحم البيوت ويرتاد كل الآفاق .

واذا كان الاتصال الاعلامى بالانسان هو موضوع الدين ووظيفته الاساسية ، وايصال رسالة الله اليه بواسطة رسله كما قال سبحانه :

« ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون » (سورة القصص : 51) . فانه ليس أمام المسلمين اليوم ـ بعد أن انقطع خبر السماء عن الارض ، وانتهى الوحى ـ الا أن يبلغوا دعوة الاسلام بمختلف وسائل الاعلام كما أمروا،وينتفعوا بما ينتفع به الناس فى هذا المجال وفق قاعدة جلب المصالح، حتى يرسموا صورة صادقة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا تزيد فيها ولا نقص ، وأن أدى الامر الى أن ننقد انفسنا نقدا ذاتيا ، ونحاكم واقعنا الى المثل المقررة فى الاسلام ، حتى يتعرف العالم على رسالته الحقيقية فى الحياة ، مبرأة من كل البدع والمنكرات ، وما ألحقته به الانحرافات فى عهود الانحطاط من أباطيل وسخافات ، وحتى يحس كل مسلم بذاته ، ويدافع عن وجوده .

فاصلاح الفساد ومعالجة الامراض الخلفية ، ومقاومة التيارات الهدامة ، وتفنيد التهم ، ورفع الشبهات عن الاسلام ، والعمل على حفظ كيان الامة من الازدواجية والتمزق ، والتعريف بجوهر الاسلام النقى ، وبما أسداه الرسول للعالم من خير ، فى أجمل اسلوب ، وأوضح بيان وأبدع عرض ، لما يدخل فيه الافتنان فى طرق الاستهواء ، وأساليب الأداء ، وتجنب الاسفاف صورة وأداء وحوارا ولفظا ومعنى بلا انشاء أو خطابة .

فالعمل الفنى الرفيع يتطلب سموا ومنهجية فى الشكل والمضمون معا . وليس الشكل من الشكليات التى يجوز الاستغناء عنها ، كما يتوهم البعض ، بل هو دعامة أساسية فى المنهج الاعلامى ، وهل قصر القرآن فنيا فى منهجه الرائع ؟ ألم يجعل من مداخله فى الدعوة للحديث عن مشكلات الناس وهموم الحياة ، ليستقطب اهتمامهم ، وينفذ الى أعماقهم ؟ الم يجعل من حديثه عن التجربة الحسية والعقل مدخلا الى التوحيد والايمان بمبدع هذا الوجود الذى أتقن كل شىء خلقه ؟

فلبلوغ أهدافها السامية ينبغى أن نحسن اختيار أساليب التبليغ وطرقه وأن نعرف كيف ننفذ الى الناس من مداخل شتى ، حتى نربى فيهم ملكة النقد البناء ، وتنمى فى احساسهم الوعى الاسلامى الصحيح ، فينظروا الى المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، والى الحياة عامة من وجهة نظر الاسلام ، لا من وجهة نظر أخرى ، حتى تملك القدرة على تنفيذ التهم الباطلة ، والشبهات المضلة التى أثارها فى الاسلام اعداؤه قصد تهوينه والنيل من قداسته .

ولكن الفكر الاسلامى لم يعتن بالاعلام نظريا وتطبيقيا وتقنيا كما اعتنى الفكر الغربى به ، ولم يقم بما يجب أن يقوم به فى حلبة التنافس والصراع الاعلامى العالمى ، بل أفضى غياب الاعلام الاسلامى والتقصير المنهجى فيه ، الى أن معظم البرامج التلفزية التى تبثها بعض بلدان العالم الاسلامى هى من انتاج أجنبى لسد الفراغ ، وكادت تنحصر وظيفة الاعلام عندها فى اعادة نشر ما أذاعته وكالات الأنباء الاجنبية من اخبار العالم الاسلامى نفسه ، فطمست قضايا الأمة العربية الاسلامية ، وشوهت حقيقة الصراع بين هذه الامة واسرائيل وأفرزت بعض البرامج الترفيهية الاجنبية سموما فى عقول الناس وأفئدتهم، فصمت بين الدين والدنيا ، وخدمت باسم الفن والثقافة حضارة الغرب ومصالحه وأهواءه . وكل ذلك نتيجة التهاون أو ضعف الاحساس العام بمكانة الاعلام وتأثيره ، فلم يعبأ المسلمون بالبحث عن الخير، ولا بفن صياغته،بل استوردوا

الى بلدانهم أفلام الجريمة والعنف ، وأفــلام الكأس والجنس ، والافــلام التى تضخم ماساة الانسان باحساسه بفراغ الكون ، وانعدام الامن والعدالة فى هذه الرحلة الحياتية التى تهدده فيها ذئاب شرسة خلف كل منعطف ، وكـم مـن قصص سنمائى وتلفزى يسوق الاحداث بطريقة تســوغ الخطيئــة ! وتبـرر الاسباب الدافعة اليها ، وتهون أمر التوقى منها ، حتى يكون النظارة أحيانا فى صف الجريمة ومرتكبيها !

وكثيرا ما تحف بالقصة مسالك يشوبها النزق والطيش ، ولكـن عناصر المغامرة وأسلوب الاغراء ، وما يتخللها من مرح فى براعة وحـذق تجعـل هذه المسالك كأنها نداء الطبيعة الذى لابد منه (1) . ويضيق النطاق عن تعداد اخطاء بعض البرامج التى يحرص الاعلام الاجنبى على توزيعها وبثها فى شعوب لا تملك من الحصانة الاخلاقية والثقافية والدينية ما يمكنها من التمييز ، وما يحفظها من الانحراف والضياع ، وفى ذلك تهديد للامن النفسى الذى يقوم على الايمان.

الاعـــلام والامــن :

وأشد الناس حيرة واضطرابا فى الحياة غير المؤمنين ، فهم فى خوف دائم مما لا يخيف ، لانهم يعلقون حياتهم وكل ما يجرى عليهم فيها بالظروف والصدف يقول جيمس فى كتابه : (الكون الغامض) .

(ونحن إذ نقف على هذه الارض نحاول أن نكشف عن طبيعة الكــون الذى يحيط بنا ، وعن الغرض من وجوده ، نحس بما يشبه الذعر والهلــع ، وكيف لا يكون الكون مخيفا مرعبا ، وهذه أبعاده لا تستطيع عقولنا أن تدرك مداها ، والى جانبها يتضاءل الانسان .. هذا هو الكون الذى ألقت بنا فيه الظروف .

واذا لم يكن ظهورنا فيه حدث بسبب غلطة فلا أقل من أن يكون صدفة..) أما المؤمن فانه ليدرك ما بين الكون والانسان من صلات ووشائج ، ويحس يد الله فى ما حوله ، فيشعر بالاطمئنان والانس الى هذا الكــون البديع ، وبالرهبــة والجلال لخالقه المبدع ، فيلتقى الفن بالعقيدة ، والمتعة الحسية بالمتعة الروحية .

وكذلك تبدو آثار الايمان فى التصورات والمشاعر والدوافع .

---

(1) التهامى نقرة : سيكولوجية القصة فى القرآن : 11 (ط تونس 1974) .

فالمؤمن يخاف الله وحده ، ولا يخاف سواه من مخلوقاته،وان راعته عظمتها أو قوتها ، لأن التدبير والتقدير بيده سبحانه .

وفي قصة آدم يمنح الله الامن له وللمؤمنين من ذريته مقابل ما تحدثه كلمة (اهبطوا) من خوف سوء المنقلب ، وما قد تثيره من رعب ، فالمهتدون بهداية الله ، لا يخافون مما هو آت ، ولا يجزعون على ما فات ، لأن اتباع الهدى يسهل عليهم طريق الخير ، ويعدهم لسعادة روحية مثلى .

(قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى. فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يـوم القيـامة أعمى) (طه : 120) .

ويؤكد هذا المعنى ما جاء في القرآن على لسان ابراهيم عليه السـلام ، في نفي الخوف مما أشرك به قومه ، وأنه أحق بالأمن منهم وذلك هو منطق المؤمن بالله الذى يثق فيه ، ويطمئن اليه فيأمن .

(وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مـا لم ينزل بـه عليكم سلطانا ، فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ، الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، أولئك لهم الامن وهم مهتدون) (سورة الانعام : 83) . فعلاقة الامن بالايمان ، جذرية ، اذ هو يستمد منه بقاءه ونماءه . كما أن الايمان يحول بين المؤمن والبغى والعدوان ، ويقوى به المؤمن على كبح جوامـح النفس وغرورها ، ويحس دوما بمراقبة الله له فى السر والعلانية ، فلا يبيـت مكـرا ولا يضمر شرا ، ومن استقام على طريق الله أمـن الناس بوائقـه فى أنفسهـم وأموالهم وأعراضهم ، وأمن هو على نفسه أن يمكر السيئات ، فأمـن مكـر الله وسخطـه .

إن الامن الحقيقى أن يأمن الناس بعضهم بعضا ، ويعيشوا فى وئـام وصفاء وسلام ، ويأمنوا كيد الاعداء بما أعدوا لهم من قوة وعدة، ويأمنوا نقمة الله عليهم باستقامتهم وتقواهم .

ألم يعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف فى الارض وتمكيـن الدين الذى ارتضاه لهم ، وتبديل خوفهم أمنا ؟

فهود عليه السلام يقول لقومه : (فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) (هود : 55) وذلك ليتحداهم بالايمان ، ويلقى فى أسماعهم أنه لا يبالى بكيدهم أجمعيـن ،

ولا يخشى مكرهم وأذاهم ، رغم أنهم الكثرة القوية ، وتلك سمة مـن سمات الدعاة المصلحين الذين غمر الايمان قلوبهم ، وأسبغ عليها اليقين ، وأفرغ عليها الصبر . فلا رهبة ولا خوف من أنصار الباطل ، لأن المؤمن متوكل على ربه ، وله من عقيدته ما يستسهل به كل صعب ، ويتجشم به كل خطر .

ان للاعلام المعاصر مرئيا ومسموعا ومقروءا دورا عظيما فيغرس بذور الايمان بأسلوب طريف جذاب ، فيتجنب المنفرات التى لا ترغب فى الخير ، ولا تجمع القلوب ، وليكن فيما ندعو الناس اليه على يقين واقتناع ، لا عن تظاهر وخداع ، حتى يكون اعلامنا صورة لما نقول ونؤمن ، وصدى لما ننشد ، فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا أمر الناس بالخشوع عند سماع القرآن تحدرت دموعــه اذا تلى عليه ، واذا خوفهم الله كان اخوفهم منه ، واذا نهاهم عن الحرص على الدنيا ، كان فى طليعة المنصرفين عنها . حتى تمضى الشهور ولا توقد نار فى بيته ، واذا طالب قومه بالجهاد ، كان أول من يخرج اليه فى حمارة القيظ ولفح الهجير . فرب مشهد تلفزيونى يبرز صورة بديعة للكون تتجلى فيها آيات القدرة العليا، ويعلق عليها كاتب بارع بكلمات سريعة موحية تقود الى الايمان ابلغ اثرا فى النفس من مقال مفصل ، او خطاب طويل .

فليس الايمان مما يعرض تحت عنوان باهت ، أو فى خطبة جوفاء تعوزها قوة المعنى وجمال الأداء . فان جذب الانتباه واثارته ، وتحريك الاحساس الجمالى مداخل الى النفوس ، ومفاتيح للعقول . وكذلك كان المنهج القرآنى الكريم فى بعض وجوه اعجازه البيانى ، ولا سيما الآيات التى تحدثت عن الكون .

واذا كان فى الاعلام المعاصر ما يبث الباطل ويزينه ، ويخدم الناس به كما يزين الشيطان لاوليائه اعمالهم ويجملها ، فلماذا لا نبث الحق ونزينه ونرغب فيه ، ونحببه الى القلوب ؟ ومن الاعلام المعاصر ما يجعل من غرائــز الانسان وحاجاته ومشاغله وطموحاته مدخلا الى قلبه كى يفتحه على ما يريد تبليغه فى الميادين السياسية أو الاجتماعية ، او الثقافية ، حتى يضمن التأثير والتفاعل والاستجابة .

فلم لا يكون اعلامنا على هذا النحو ، فيشارك الناس مشاغلهم واهتماماتهم ، ويتعاطف مع مشكلاتهم ، وينطلق من واقع حياتهم ، ويخاطبهم من خـلال غرائز الابوة والامومة وتأكيد الذات ، والمحافظة على الصحة .. الخ . ؟ انه اذا صح اختيار المدخل والوسيلة صح الاتصال المؤثر والمثمر .

وهكذا يتضح أن المصدر الاساسى للامن هـو الايمان الـذى يطرد اليأس ، ولا يقبل الاحكام النهائية ، ولا يقول بالطرق المسدودة ، لأنه يعلم المؤمنين الا ييأسوا من رحمة الله مهما ادلهمت الخطوب ، واستحكمت الازمات ، ويدعوهم الى تجديد العزم فى الفرصة المفتوحة ، والى الامل فى تغيير الواقـع وتحسينه وان كان سيئا وخانقا ، فاحتمالات التقدم والنصر والعزة هـى التى يكشفها الاعلام الواعى ، وينير بها سبيل الذين لا يعرفون طريقها .

وقد أورد القرآن الكريم احتمالا قائما بالنسبة للكفار ، حتى لا تضيق صدور المؤمنين بالكفر وأهله ، فيغلقوا نوافذ الامل عن محاولة هدايتهم الى الحق ، فقال جل جلالـه :

« ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » (الحجر : 2) واعداء هذه الامة كثيرا ما يستخدمون فى اعلامهم ضدها حرب الاعصاب ، لتوهينها أو قتل روح المبادرة فيها ، أو تثبيط اعمالها ، أو تحجير ما وسعه الله ، فهل نعيـن اعداءنا باعلامنا القاتم المعتم ، والله تعالى يقول : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ؟ » (آل عمران : 139) .

او ننسحب من ساحة الاعلام ، بدعوى أن العالم كله ضدنا أمـس واليـوم وغـدا ؟ انه لا شيء يهدد الامن النفسى كاليأس والتشاؤم والخوف من المجهول ومن حق كل عربى أن يمد بصره خارج أسوار الواقع، ويحلم بصبح عظيم يحمل البشرى ويذهب الهم ، والحزن ، وان يتطلع الى الكمال المتاح من وراء الضباب ، فقد حلم ماركس بدولة الشيوعية ، وحلم هرتزل بدولة اليهود ، وعبرا عن هذا الحلم فى وسائل اعلامية كالكتب والبيانات .

فاستشفاف المستقبل ، وارتياد الآفاق الجديدة من مهام الاعلام وأهدافه : ولم لا نتوقع مستقبلا مفعما بالاحتمالات الطيبة والانجازات المباركة ، وقد بشر القرآن العظيم المسلمين فى مكة ، وهم يومئذ قلة مستضعفة بمستقبـل الفتح والنصر ؟ ان الاعلام المخطط والمركز لا يحبس بين جدران الواقع ، ولكنه يمتد الى آفاق الامل الواعى ، بعيدا عن الانغلاق ، وعن جموح الخيـال ، أو أفـراط التفاؤل وليس دوره أن يتحدث عن الواقع ويصفه كما هو فقط ، بل عما يجب أن يكون عليه هذا الواقع بارادة التغيير وطرقه العملية الموصلة . ومثل هذا الاعلام التوجيهى التربوى من شأنه أن يوفر الامن الذاتى فى مفهومه العام ، وأن يقوى الثقة بالنفس ، وأن يؤهل الى امتلاك القدرة على مواجهة أى خطـر داخلى

أو خارجي قائم أو محتمل . فاذا أحسن المسؤولون فى البلاد العربية والاسلامية عن حظوظ الاعلام ، التحرك والتنظيم والاعداد على مستوى الاعـلام الحضـارى المعاصر ، وعرفوا سبيل نقله من الفلك الاجنبى الى الفلك العربى والاسلامى ، رفضوا ان يتلقوا ما يرسل اليهم تلقى المستهلكين القابعين .

فالتواصل الاعلامي الفضائى عن طريق الاقمار الصناعية أصبح امرا محتوما لا عاصم منه ، وليس لاحد ان يمنع ما لا يقدر عـلى منعه ، او يعمـل عبثا عـلى تفادى هذه الحمى الاعلامية العالمية المسيطرة ، ولكن فى امكانه أن يدخل الاعلام التكنولوجي مع الداخلين من إرادته هو وأفكاره ، فلا يفهم بعقل غيـره ، ولا يسمع بأذن غيره ، ولا يرى بعين غيره ، وذلك يتطلب توجيها طويل النفس ، واعدادا متواصلا ، وتوعية مستمرة ، لتكوين عقـول تحسـن النقد والتمييز ، ولا يسحرها الخداع ، وآذانا تحسن الاستماع ، ولا تشتبه عليها الاصوات ، وعيون تحسن النظر ولا يعشوها البريق .

تلك هى الحصانة الأمنية من عدوى الانحرافات ، وخطر الانزلاق فى المتاهات ولا سيما متاهات العنف والجنس والكأس .

(يتبـع)

د. التهـامى نقـره

لِلرّيح مَوَاجعهَا ... وَلقلبي البوْح ..

شعر : البشير المشرقي

بكائية للريح :

كنتُ يا ريح إذَا مَا هَزّنِي الشوْقُ إليك

أَرْتَمِي بيْنَ يَدَيكْ

وَأَرَى مَوْتِي لِزَامَا

كنْتُ يَا ريح أرى عُمْرى

زُهُورًا وَخزَامَى

وَغرَامـًا وَهُيَامـا

وَأَرَى اليوْمَ مَرَاراتِي ..

على الدّرْبِ ، سِرَاعـًا ،

تَتَـرَامَى

هَلْ أرَى وَجْهِي لَدَيْكْ

أمْ غَدَا العُمْرُ ضبَابـًا ..

وَظلاَمَا ..

رحيل وزوابع :

عَلىَ شُرُفَاتِكِ أَبْحَرْتُ مِنْ زَمَن

في المَوَاجِعْ

وَمَازلتُ يَا وَطنَ الحُلم ضَائِعْ

علىَ شُرُفَاتِكِ أَدْرَكتُ أنّي وجه

تُحَاصِرُهُ في الرّحِيل الزّوَابِعْ !

بين الحزن وبيني :

عَجَبًا للْحُزْن يُحَطمنِي

وَأُحَطمُهُ أَبَدًا

أَبَدًا ..

وَإذَا مَا وَلىَّ أَنْشُدُهُ

فَكأَنَهُ قَدْ مَلكَ الكبِدَا

وَبِرَغْم الصّدّ يُعَاتِبُنِي

وَأَرَاهُ يَمُدّ إليّ يَدًا ..

أفكار وَمَنْفَى :

أفكاري هَذِهِ أمْ مَنْفَى

أمْ مَرْفَأُ حلم يغْرِينِي

فَأَرَى وَجْهِي أبَدًا يَتَنَأَى

أبدًا يتبخّرُ في الحين
فكأنّي ريحٌ لا تهدأ ..

وطن وشاعر :

هذا الوطنُ الساحرْ
سأظلّ أمارسُهُ أبدًا
وأتوقُ إلى زمن آخرْ
هذا الوطنُ الساحرْ
نبضاتُهُ مِنْ قلبِ الشاعرْ !

إبحار ونهاية :

أطلعُ مِنْ غيبوبتي شمسًا على الربوع
أطلعُ مِنْ غيبوبتي ..
وإنّني أعرفُ أنّي دائما
أذوبُ كالشموع
وأبدأُ الإبحارَ في عينيكِ حتى أنتهي .. !

أنوار وظمأ :

على رصيفِ الذكرياتِ كنتُ
يومًا هائمًا
ملأتُ عينَيَّ
مِنَ الأنوارِ فارتويتْ
وهِمتُ في عينيكِ طيرًا حالمًا
حتى انتهيتْ !

موسم للشذا :

موسمٌ للشذا يرتمي
وأنا فيهِ منفتحٌ للمنى
أي ريحٍ تراودُني .. وأنا
مُدْرِكٌ أنني قاحلٌ أبدًا .. ؟ !

ذاتَ صباح :

صاحبي ماتَ ذاتَ صباحْ
أترعَ الكأسَ مِنْ حزنِهِ
ورنا للرياحْ ..
خلّفَ الصمتَ في عدوِهِ
والأسى .. والجراحْ ..

وطن وأحزان :

علّمتني المواجعُ أنَّ الليالي
تحاصرني بكرةً وأصيلاً ..
علّمتني المواجعُ أنَّ الزنابقَ
في وطني لا تعيشُ طويلاً
كلُّ دربٍ يخاطبني ..
وأراهُ كزقزقةِ النور ..
حلوًا جميلاً ..
غيرَ أنّي إذا رمتُ إغفاءةً
فيهِ عانقتُ في وطني المستحيلاً
وأراني على شرفةِ العمرِ
أرنو إلى وطنٍ لا يرقّ

قَليلاً ..
هَكَذَا عَلَّمَتْنِي المَوَاجِعُ ..
إنّي بِلاَ أمَلٍ
كانَ حَظّي ضَئِيلاً !

حنين :

عَلَّمَتْنِي الآهُ أنْ أبْكِي
بِدَمْعٍ هَمَجِي
عَلَّمَتْنِي الآهُ أنْ ألْقَاكَ فِي كُلِّ
صَبَاحٍ قِرْمِزي
عَلَّمَتْنِي الآهُ أنّي حَامِلٌ عِبْءَ
حَنِينٍ أبَدِي
فَلِمَنْ أشْكُو .. وَبَعْضِي أبَدًا
يَبْكِي عَلَيَّ ؟

اغنية الى الخضراء

آتيك مِنْ عمق المساء سَنَابِلاً — وَجَدَاوِلاً سِحْرِيَّةَ الأنْغَام
آتيك أنْسَاماً تهبّ على الرّبى — وأمُدُّ كَفِّي فِيكِ لِلأحْلاَمِ
«يَا تُونس الخَضْرَاءُ إنّي عاشِقٌ» — أهْدَى جَوَانِحَهُ إلى الأنْسَام
غَنّاكِ كلَّ العُمْر.. فهو متيمٌ — وَأبَاحَ فِي نَجْوَاكِ كُلَّ حَرَام
العَاشِقُ المَفْتُون لاَ يَدْرِي متى — يُرْسِي السّفِينَ بِشَاطِىءِ الأحْلاَمِ
يَقْضِي الحَيَاةَ ،، مشرقا ومغرّبا — وَكَذَاكَ حُكْمُ الحبِّ والأيّام
فَلْتَعْذُرِيه إذَا أتاكِ وَلَمْ يَجِدْ — مِنْكِ الوِصَالَ فَلَمْ يبحْ بغرَام

وجهك ولُهاث المسافات :

وَجْهُكِ الآنَ أرْسُمُ فِيهِ حَنِيني
إلى شَاطِىءِ الأُمْنِيَاتْ
وَجْهُكِ الآنَ أرْسُمُ فِيهِ انهياري
وَشَكْلَ المَسَافَاتِ فِي الكَلِمَاتْ
وَجْهُكِ الآنَ أرْسُمُ فِيهِ مَشَاوِيرَ
مِنْ عُمُرٍ يَلْهَثُ اللّيْلُ فِي عمقه
وَالبَقِيَّةُ تَأتِي ..
للرّيح مَوَاجِعُهَا ..

للرّيح مَوَاجِعُهَا وَلِقَلْبِي البَوْحْ
فَمِنْ زَمَنٍ وَطّنْتُ على الأوْجَاع
دَمِي وَألِفْتُ الجُرْحْ .. !

البشير المشرقي

التائه الذي لم يصدقه أحد

قصة : الناصر التومي

رفضت أن تكون أنت ذلك اليوم ، فلسفتك في ذلك ، أن الحدث غير عادي ، والعقل فقد تركيزه ، تحت تأثيرات شهد باستحالة تذليل صعابها الكثيرون ، ونعوك وأنت تنبض بالحياة، واستنكر هؤلاء فعلتك تلك، بالمواجهة من فئة وبالجفاء من فئة أخرى .

صرخت فى الذين واجهوك بالعتاب والزبد يتناثر من شدقيك بأنك لم تكن موجودا كامل ذلك اليوم . الوعى آية الوجود وهذا الامتياز افتقدته ساعة ما فتحت محجريك صباحا . كان الجسد جسدك والانفاس أنفاسك والنبض نبضك ، ولكن هذا لا يكفى فى نظرك بأن تكون مسؤولا عن تصرفاتك كيفما كانت . لقد شل عقلك وانجذبت فى ارتباك نحو حزم الاوراق البنكية ، ورغم المحاكمة العادلة فى منطقهم ، ورغم قضاء مدة العقوبة اضافة الى اصابة بالهوس نتيجة التعذيب ، فلا تزال تصر على براءتك .

خلت أن باستقامتك ورجاحة عقلك ستحقق ما تصبو اليه. بطريقة أو بأخرى ستحصل على مسكن يسجل برسم اسمك ، وستعمد الى قضاء اجازتك السنوية باحدى البلدان ، غربية كانت أو شرقية متحضرة كانت أو متخلفة ثلجية كانت أو شمسية ، وستضم اليك زوجة مليحة ، واذا أسعفت بها مثقفة فستعمل الى جانبك وتقتنيان سيارة تساعدكما فى زحمة أزمة المواصلات ، وسيكون لك من البنين ما يكفى ليتواصل نسلك وتخلد هويتك.

كنت وراء مكتبك عندما رن جرس الهاتف ، ولما وضعت السماعة كانت قتامة تعلو سحنتك ، ومرارة استقرت بمذاقك وارتبكت مفاصلك ، ولاحظ زميلك منك تغيرا فسألك :

ـ ما الامر ...

ثلت وقد استقر بصرك بثقب وهمي بالحائط بينما كنت تهوى منشاهق.

ـ فارق أخي الحياة ولكنني أنا الذي مت ...

وانسللت برفق من المكتب ونزلت المدارج التي كانت تتراقص تحت بصرك وقدميك ، وكدت تتعثر لو لم تتماسك ، واستقبلك الشارع ، ورغم ازدحامه بالسيارات والمترجلين ، خلت أنه قذف بك في صحراء مترامية الاطراف وبدت لك الحياة أشبه بالمستحيل . احتضنك الزقاق ، وبدا لك حشد من كل الاعمار ، وأصغيت الى ولولة ونواح زادا في كربك ، وكدت تولى الادبار وتختفي ، لكنك تجلدت وواصلت سيرك واكتشف الحشد هامتك فاشرأبت الاعناق ، وجحظت العيون واتسعت ، وتضخمت الهياكل وفقدت أشكالها وحركاتها الطبيعية المريحة .

اعترضت أمك تقدمك صارخة مولولة وهي ترى فيك رجل البيت الجديد ، وبرزت زوجة الاخ الراحل لما علمت بقدومك الميمون ، فدت لك آدمية فقدت المعين وطمعت في سخاء البديل .. كرهتها في تلك الآونة ، ولعنتها وأصلها وفصلها ، وكدت تلعن أخاك لولا قداسة الموت التي حالت دون ذلك . لم تكن مليحة وزادتها بهذلة اللوعة قبحا . لما تهاويت على أحد الكراسي حام حولك الابناء ، كبارهم يبكون ، وصغارهم لا يكادون يفقهون ، وتحركوا كالشياطين، يرمقونك بنظرات استعطاف ، وفجأة أحسست بوجودهم الحقيقي ، لقد استيقظ فيك حبهم الذي خمد لهول الصدمة والخيبة . احتضنت البنت الصغرى ولثمت جبينها ، وقربت الكبرى أعمقهن احساسا بالحدث ، وكدت تنسى واجبك، فتحاملت على نفسك وانتصبت واقفا تستقرىء من الوجوه أمرا بالتحرك للقيام باجراءات الدفن .

استطعت كبح جماح خيالك المجنح باضفاء مسحة القتامة ، وأثلج طموحك، فسحبت اشتراكك من صندوق الادخار السكني ، وعدلت عن استخراج جواز السفر ، واذا ضاقت بك المدينة ، اقتحمت أول حانة وتجرعت ما يحرك كوامن شبه ميتة ، فتحلم من جديد بعالم يعسر اكتشافه ، في مغامرات يصهل فيها جنسك العربي البربري ويصول في مدن أوربا ، يزقق حسناواتها في ثورة محمومة الطاقة الشمسية.وتسيل دموعك اذا دوعبت من بعض الاصدقاء والاقارب من المخمورين عن مصيرك وأنت تعول عائلة بسبعة بطون ولم تبغ من العمر الثلاثين ، ولم تنعم بحرارة زوجة مليحة ، تعادل فيك ميزان الرجاحة ، وتطرد شبح الكبت والتذبذب ، واذا انتفضت من بينهم كالمسعور وغادرت مجلسهم

لتستقبلك الشوارع ، تراقصت أجسادهن ، تتفرس فيك بعيون ساحـرة ، يصحب ذلك ابتسامات مليحة مشجعة ، فتخالهن يشتهينك ولا ينظرن الا جرأة منك ، وتتوقف بمحطة الحافلات فيتضخم فيك الاحساس بالكبت فتحث الخطى نحو بؤرة المواخير .

استلقيت على فراشك ، أحسست بارتخاء وسقوط فى هوة سحيقة تمتصك من عجزك ، وتعددت الكوابيس ، حركة محمومة فقدت معالمها ، هيجان أحـد محترفى العنف ، زحف شرطة الاخلاق من لا أخلاق لهم ، أجسـاد شيطانية عارية تصليك بفحيح الافاعى ، وتفوز بوصال الديكة وتسكن حركتك ، حـد الاختناق ، تقاد الى حيث لا تدرى بالكلاليب وترمى من شاهق بينمـا تطلـق مومس ضحكة دعـارة وتغمض عينيك فتلاحقك وهى تزيل ما علـق بها من بصـاق .

فتحت محجرين حمراوين ثقيلى الجفون ، داعبك أصغر الابناء وبادرك بقبلة بوجنتك العارية ، وصعقت ، لا يزال فى عمر الشهر الشمسى بقية ولن تكفى الثمانية دنانير التى أبقيتها بالرصيد .

هرولت فى غير عادتك بين دهشة الصبي وحيرة الأم وأنت تلعن الحانات والخمارات والجرايات . قدمت صكا بريديا به ثمانية دنانير لا غير ، حشـره العون البريدى فى حقة مع غيره ودفع بها فى فوهة . انتظرت طويلا ، محاولا تقسيم المبلغ على بقية أيام الشهر ، لكن الدنانير الثمانية كانت تتمرد وتتلاشى وتخيب أملك .

توالت الارقام فى مضخم الصوت ، وكان بينها رقمـك ، تسلمت الصـك مزكى ، وهرولت الى الشباك البلورى ، كانت وراءه فتـاة تخضبت بأصبـاغ صارخة ، تسلمت منك الصك وبطاقة تعريفك وهى تبرقك بنظرة خـاطفة ، ولما تمعنت فى الصك ، كرفست شفتيها ، وحركت حاجبيها فى اهتمام بين ، وسجلت بدفترها بعض أرقام لم تتبينها ولم تكن ترغب فى ذلك. وأنت تلعنها لبطئها انهالت عليك حزم الاوراق البنكية ، ألقيت نظرة الى الخلف مبهوتا ، لعل غيرك المعنى بها ، وأنقذك صوت فتاة الشباك من اضطرابك ، آمرة بعد ما يقدم لك ، وأوهمتها أنك تفعل ، وحشـوت الحـزم فى الجيـوب الـداخلية ، وهرولت الى المنزل وكل شىء فيك يفور .

أغلقت غرفتك ، كانت ثمانية آلاف دينار ، تهت فى الاحتمالات ، لعلـك أخطأت ، أو أخطـأ العقل الالكترونى أو فتاة الشباك ، ولعل منظمة قـومية

أو دولية أجازتك بهذا المبلغ لقيامك بواجبك العائلي ، أو لعله القدر وهبـك من حيث لا تدرى .

طرق الباب ، أخفيت الجائزة في الخزانة في بهذلـة . كانت الأم ، وقبـل انسيابها في عتاب لا ينتهي دفعت لها بورقة من فئة الخمسة دنانير وأغلقت في وجهها الباب .

صلبوك وركلوك وفقدت وعيك عديد المرات وقال لك أحد الزبانية :

ـ لو كنت مكانك لفعلت ما فعلت ...

وحققوا معك .

ـ نعلم جيدا ان فتاة الشباك هي التي أخطأت ، ويكمن خطؤك في قبول ما ليس لك ، وما نريد معرفته ، هو كيف صـرفت كل ذلك المبلـغ في فتـرة وجيـزة .

ـ كان المال لي هبة ، لا أعلم مصدره ، لعله هبة منظمة اليونسكو .

ـ أتعبتنا ، فلا ترغمنا على التنكيل بك .

ـ تزوجت شهـرزاد ، وقضيت شهـر العسـل في الساحل الازوردي ، واقتنيت سيارة رويس رويس ، ومنزلا فخما بنيته على أطلال قصـر عليسـة وألحقت به جزءا من هيكل الرب أشمون ، فجعلت منه جناحا خاصا بمجوني علية القوم ، سميته وكر «صفر في السيرة» وكونت وكالة أسفار معمؤسسة المكوك الفضائي الامريكي لتسجيل أسماء من ضاقت بهم الارض بما رحبت للقيام برحلة فضائية الى المريخ والرؤساء المديرون العامون هم المعنيون قبل غيرهم للقيام بهذه الرحلة ...

وفقد المقرر أعصابه فلعنك وطرحك أرضا فسبقتك جمجمتك الى الحـائط وأغمي عليك .

قدم حكيم الامراض العصبية شهادة طبية في اختلال حـاصل بـمداركك العقلية ، ورفض محتواها رئيس المحكمة لانك ساعة تسلمك للامـوال كنت معافى من كل علة ،وصرخ محاميك بأن هذا الحكم يفيد فيقضيةفرعية ضد من تسببوا في فقدانك لمداركك العقلية وخسرت تلك القضية أيضا ، وكنت لا تفتأ تردد بأن ليس الموت والجنون وحدهما يفقدان الانسان وجوده بل كذلك الصدمة والخيبة والحاجة وتهت في المدينة ولم يصدقك أحد .

النـاصر التـومي

شهرزاد تقتحم ضباب الحضارة

شعر : رجب بن مهني

أعيدي إلى وجهكِ الحضري انتصارَهُ ، بسمتَهُ ، نبراتا
زفّي ربيعك للحلم
قدْ حانَ عهدُ انتصار الورودْ
أعيدي لعينيك لون الحياةِ
مساحيقك الوهمُ
حمّى التزلف ، حربُ النفاقْ
أنا لا أحبك وجها يُبعثِرُهُ الريح في كل فج
وتطحنهُ الريح مثل الرمال ضبابا .. وموتا .. وحسرهْ
أميطي لثام الحضارةِ
كيف تكون الحضارةُ كسب الرهانْ ؟؟
غباوةُ تلك العيون التي بهرَتها الفوانيس
أدمى نضارتها البَرْقُ
أعشتْ سنَاها الغيُومُ
ولوّثها العارُ .. حطّمها الخزي .. ألهبها الاحتضارْ ...
نواقيس حبّكِ دقّتْ

* * *

سمعتُكِ تلقين شعرًا
رأيتُكِ تقتَحمينَ الضبَابْ
رأيتُكِ لا تُخدَعينَ بنَهر السَّرابْ

حبكِ ، ضدّ تضاريسِ وجهٍ غبيٍّ
تثُورين ثورَةَ قلبٍ محبٍّ ..
وضدّ أساطيل وهمٍ يُعشِّش في كلّ بيتٍ
وفي كل بابٍ .. تثُورين ..
ثورة قلبٍ محبٍّ .
أريدُكِ أحلى مِنَ الحبِّ
أحلى مِنَ الماء
أطهرَ مِنْ موْجَةٍ في خضمّ جميلْ
فعَهْدُ التّلوثِ أخْشاهُ
أخْشى امّحاء أزاهيرِ وَجْهكِ في عتمَاتِ الأصيلْ
أعيدي إلى هُدْبِكِ الحبّ .. لاَ تجْعَليهِ طويلاً .. طويلْ
أعيدي لَهُ يا جميلَةُ ، لوْنَ الطهارَة
ليْس للوْنِ الطهارَة قطٌّ بديلْ
أيَا شهرزَادُ التي قتلتْ شهرْيارَ بسيْفِ الحضَارَهْ
رمَتْهُ بسهْمٍ وألْقتْ به في رُكامِ الدّعارَهْ
أيَا شهْرزَادُ التي رفَضَتْ شهْريَارْ
ولَمْ تقبَلِ اليَوْمَ جورَ الإمارَهْ
لقَدْ أقْفلَ الجهْلُ بابهُ لنْ تقْبَلي بالخسَارَهْ
وأنْتِ المنَارَهْ
أُريدُكِ رافضَةَ الوَهْمِ ..
ضِدّ تضَاريس وجهِ غبيّ وأشْباحِهِ المستعارهْ
تثُورينَ ، ثوْرَةَ قلبٍ
مِنَ العلمِ يقْتبِس الآن ألفَي شرَارَهْ
وتنْتصِبينَ ، شمُوخاً ، سمُوّاً

أصيخي لصوتِ التّحـدّي
أصيخي لحلم منَ الوَهْم يَهْرَبُ ..
يَحْتَجّ ضدّ انْخِذال الجَمَـال
تَحَطمَ فَوْقَ اعْتِنَاقكِ للْعَقْل ..
خَسفُ البـدُورْ
أيَا شَهْرَزَادْ
قِفِي وَانْظري للنجُومْ
هِيَ الشّمْس تَمْنَحُهَا النّبْض بالنّور حِينَ الظلاَمُ يَسُودْ
قِفِي .. قَاطِرَاتُ الزّمَان تَسِـيرُ
وَأنْتِ الرّبيعُ الذي يَحْمِـلُ الخِصبَ .. أنتِ البُـدُورْ
قِفِي وقْفَةَ الحُبّ
مَا أرْوَعَ الحُبّ ..! شَهْمـًا مُثِيرًا
قِفِي .. أنْتِ أعْذَبُ لَحن
طوَتْهُ السّنونْ
وَأخفَتَـهُ .. دَاستْـهُ
ثُـمّ يُفِيـقُ أخِيـرًا

رجـب بن مهنـي

المجموعة الشعرية الاولى للشاعر : **رجب بن مهني**

عنوانها : **الابحار برغم الاعصار**

في الدفاع عن اللغة العربية

بقلم : محمد أنور بوسنينه

ـ 3 ـ (*)

وركن آخر من أركان النهضة الفكرية والادبية فى ربوع بلاد العرب وليد بيروت وابنها العبقرى أعنى به الشيخ الشاعر العالم ناصيف اليازجى (16) يسجل ضمن كتابه الشهير « مجمع البحرين » مقامة من بين المقامات الستين المثبتة وهى المقامة البحرية حيث دافع فى ثناياها عن اللغة العربية بأسلوب رائق شيق جذاب يقول : « قال سهيل بن عباد : شهدت وأبا ليلى عيد النحر فى بعض أرياف البحر . وكان ذلك المشهد الميمون حافلا كالفلك المشحون والناس قد برزوا أفواجا وانتشروا أفرادا وأزواجا حتى اذا سكن اللجب وتميز اللباب من النجب جلس المتأدبون منهم على أديم ذلك التراب ، واخذوا يتذاكرون فى حقائق العربية ودقائق الاعراب حتى اذا أوغلوا فى تلك اللجج ، وأمعنوا فى البراهين والحجج ، طلع شيخ أعمش العين أعنش (17) اليدين فمسح بيديه أطراف السبال (18) وأشار الى القوم وقال : الحمد لله الذى جعل العربية أفصح اللغات وجمع فيها اصول البراعات وفصول البلاغات أما بعد فاعلموا يا غرة

(*) انظر « الفكر » ع : 2 و 3 ـ س : 29 ـ 1983 .

(16) الشيخ ناصيف اليازجى (1800 ـ 1871) من مواليد كفر شيما جنوبى بيروت ساهم بقسط وافر فى بناء النهضة الفكرية الحديثة حيث رفع من مستوى الكتابة وعمل على تهذيب اللغة وتقريب العلوم له آثار كثيرة فى الصرف والنحو والبيان واللغة والمنطق والشعر والتاريخ من بينها « نار القرى فى شرح جوف الفرا » و « مجمع البحرين » والديوان جارى أكابر علماء العرب فى شتى فروع العلم وقد نجح فى مجاراته لهم بل تفوق على الكثير منهم .

(17) الاعنش : من له ست أصابع .

(18) السبال : الشوارب .

أهل المدر (19) وقرة أهل الوبر ان هذه اللغة المستحسنة فريدة عقد الالسنة ، وهي خلاصة الذهب الابريز التي بها ورد الكتاب العزيز ولها الفنون العجيبة والشجون الغريبة والالفاظ القائمة بين الجزل والرقيق والاختصار المؤدي الى المراد من أقرب طريق وفيها الاستعارات والكنايات والنوادر والآيات والبديع الذي هو حلاوتها وحلاها ، والشعر الذي لا نظير له في سواها ، فضلا عما بها من الحدود والروابط والقيود والضوابط والاعراب الذي يقود المعاني بزمام ويرفع الابهام عن الاوهام ، واني لارى الناس قد نقضوا ذمامها وقوضوا خيامها ورفضوا أحكامها فضاع مفتاحها وانطفأ مصباحها وتكسرت صحاحها حتى لم تبق لهاحرمة ولا شأن ولم يبق من يتصرف بها من أهل هذا الزمان ، فصار عندهم الناحي كاللاحي (20) والشاعر كبعض الاباعي وعالم اللغة أحمق من دغة (21) ولقد ساءني ما فعلت بها الايام حتى بكيت على أطلالها التي عفاها عصف السهام ولا بكاء عروة بن حزام فحافظوا على درس طروسها وجاهدوا في سبيل احيائها بعد دروسها فانها الدرة اليتيمة والحرة الكريمة واللهجة التي لم ينطق اللسان بمثلها والمطية التي لا تذل الا لاهلها وعلى ان انتصب لافادتكم ما أبقى الدهر لي رمقا ، ولا أخاف بخسا ولا رهقا (22) الى آخر المقامة .

وعودة ثانية من المشرق العربي الى مغربه حيث موطن الخضراء ومصلحها الكبير الطاهر الحداد (23) الذي ضرب بسهم وافر في ميدان الاصلاح الاجتماعي وكذلك السياسي والثقافي وانظر ما لاحظه من تدهور للغة تبعا لتدهور الحال في جميع مجالات الحياة ويعلق بقوله « نحب اللغة العربية حبا

---

(19) أهل المدر : سكان القرى .

(20) اللاحي : الشاتم .

(21) دغة : هي مارية بنت ربيعة بن سعد من بني عجل بن لجيم ـ كانت أحمق النساء .

(22) كتاب مجمع البحرين . مكتبة صادر ـ بيروت 1924 من صفحة 357 الى 360 .

(23) الطاهر الحداد : مصلح اجتماعي . كاتب وشاعر من رواد النهضة الحديثة دافع عن حقوق المرأة والعمال . امتدت حياته من سنة 1899 الى سنة 1935 .
من كتبه : « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » « خواطر » .

جعلنا نعتبرها جزءا من ديننا ، ونحب ديننا حبا يكاد يفضى بنا الى الجنون بل قد أفضى ولكننا حتى الآن لا يوجد لدراسة هذين الاصلين او تعليم العلوم ولو بناية صغيرة . اذا استثنينا الكلية الزيتونية البائسة والكتاتيب الخاوية والمدارس القرآنية التى هى اليوم مشروعات لعيش الافراد القائمين بها أكثر مما هى لتثقيف الشعب وتعليمه ، والتعليم المذموم فى المدارس الابتدائية التى أنشأتها الحماية الفرنسية أتم منها برنامجا فى تحصيل العلوم والشعب التونسى يكره هذه المدارس لخلوها من التعليم القومى ، والصحافة الوطنية والكتاب يؤيدون هذا الشعور فى الشعب ويثيرونه فيه ولكن الجميع يرفعون أصوات الاحتجاج الشديد على الحكومة فى بدء كل سنة مدرسية لضيق هذه المدارس عن ايواء أبناء الشعب التونسى الذين يبقى غالبهم مشردا فى الطرقات محروما من التعليم ومعرضا لشر الاخلاق والجرائم والسجون ، والشعب التونسى يشعر اليوم ان اللغة الفرنسية أقرب الى طرق العيش من اللغة العربية وهذا هو الواقع وهو معقول الحكم الفرنسى فرضخ الى تعليم ابنائه فى تلك المدارس رغما عن شعوره المخالف لها ، لان حياته المادية تتأخر يوما فيوما وتشعره بالحاجة الى الاستخدام الذى تملكه الحكومة والشركات العامة وهى لا تعرف اللسان العربى ، فكانت هذه المدارس كمعامل لتبديل الالسنة والملابس لفائدة المطابع والمصانع الاروبية ولفائدة الرقى الاستعمارى العام فى توحيد الممتلكات الفرنسية بالشمال الافريقى ، ونحن الآن قد بدأنا نشعر بحاجتنا الى التخاطب باللغة الفرنسية فى شؤوننا العمومية فاسسنا جرائد وطنية باللسان الفرنسى تقرأها شبيبة هذه المدارس التى تبلغ اليوم عشرات الآلاف والتى لا تجد شيئا وطنيا تقرأه لو لم تكن لها هذه الجرائد ، الا الجرائد العربية الذاوية التى لا تحسن لغتها ، وستذهب هذه الجرائد العربية بموت قرائها وتحتل مكانها الجرائد الوطنية الفرنسية اللغة بطبيعة انتشار اللسان الفرنسى وطبع ابنائنا به منذ نشأتهم بالمدرسة على حساب اللغة العربية .. » (24) وعن مستقبلها يلاحظ الطاهر الحداد بانه « لم يبق للغة العربية فى تونس غير الكلية الزيتونية وهى فيها موؤودة منذ قرون لا تعرف الحياة ولا الحياة تعرفها ، وأهل تلك الكلية يحافظون كل المحافظة على ان تبقى فى هذه الحال كأمانة عهد اليهم حفظها من التبدل والتغيير مقابل جرايات ينالونها هناك فما أشبه الكلية الزيتونية بأسواق المدينة المحدقة بها فى الجمود والعجز عن

(24) « خواطر الطاهر الحداد » خاطرة رقم 58 — نشر الدار العربية للكتاب — تحقيق وتقديم — كاتب المقال — تونس 1975 .

التطور واذا كانت الحال متشابهة فلا عجب ان يكون مستقبل اللغة العربية مشابها لمستقبل تلك الصناعات المائتة حولها ثم لا عجب بعد هذا ان تكون حياتنا مشهدا تاريخيا يتحرك امام انظار الباحثين والسواحين الاجانب لا يبعد عن تمثيل أجدادنا الا بقدر ما يقتضيه اندفاعنا المستمر فى هاوية الموت » (25).

أخيرا تلك مواقف دفاعا عن لغة البيان وليكن الختام بشاعر الخضراء الطاهر القصار وقد وصف لغة الضاد فى ابهى صورة وانبل موقف وافصح لسان يقول :

لغة البيان ومنطق القرآن تدعو لنجدتها بكل لسان
لغة الأباة الشم والعرب الألى ملكوا المفاخر من بنى قحطان
لغة تسامت فوق هامات العلا فى كل عصر بل وكل مكان

لى ان يقول :

لم يبل منها الدهر شيئا انما باءت من الابناء بالهجران
تركوا حماها وانثنوا عن حبها وسلوا هواها بابنة الرومان ..
بثلاثة نسمو ويعظم امرنا بلساننا والدين والعرفان .. (26)

الى آخر القصيد وقد حوى دعوة حارة للوقوف بجانب اللغة المعتبرة ركنا لازما للحفاظ على الذاتية والاصالة الحق ، وليس لى فى النهاية الا ان أشير بأن الواجب يدعو الجميع الى السعي والعمل الجدى قصد ارساء اركان اللغة العربية على أسس متينة قوية ثابتة كي يعود اعتبارها وتتبوا المكانة التى تستحق بين لغات العالم وقد بدأت طلائع الظفر بالمقصود تتضح معالمها واصبحت من بين اللغات الرسمية فى المحافل الدولية وفى مقدمتها مجلس الامم المتحدة ومجلس الامن لكن الدعوة الحارة هو الدفاع عنها فى المحافل العلمية والمؤتمرات الدولية سواء الطبية منها أو غيرها وفى ذلك اثبات للذات والوجود والكيان .

محمد أنور بوسنينه

(25) المصدر السابق ـ خاطرة رقم (60) .
(26) الحركة الادبية والفكرية فى تونس ـ محمد الفاضل بن عاشور الدار التونسية للنشر ـ ص 397 .

غوركي .. ثلاثية : الثلج .. الحرية .. الظمأ

شعر : يوسف رزوقه

[لحظة التحام مع مرارات غوركي]

اغنية طائر النوء (1) :

يُدمدِمُ رَعْدٌ
وتَعْوي رِيَاح
سَحَابٌ يُذَيِّلُهُ لَهَبٌ أزْرَقٌ فَوْقَ لُجّةِ بَحْر
تُمَغْنِط بَرْقًا وتُطفِئُهُ ..
تتلاشى انعكاساتُهُ كثعابينَ ناريّةٍ تتلوّى ..
قريبًا ، ستَنْدَلِعُ العاصِفَة !
هُو ذا طائرُ النّوْءِ يَعْلُو بَعيدًا
ويَرْجِعُ تَوًّا
لِكي تَتَماسَّ (ولا تَتَماسَّ) جَنَاحاهُ بالموج ..
يَرْتَفِعُ الفَرَحُ الداخليُّ بِهِ ، مِنْ جَديد

---

(1) عنوان عمل قصصي لغوركي .

وَيُعْلِنُ : أيَّتُهَا العَاصِفَةُ ؛
إنَّنِي طائِرُ النَّوْءِ هُبَّي ،
فَلاَ رَادَّ لِي ، وَلِحُبِّي ..

* * *

أغنيـة الصقـر (2) :

أيُّهَا الصقْرُ : قَاتِلْ عَدُوَّكَ حَتَّى النِّهَايَةِ ، كنْ مِثْلَ « دَانْكو » (3) الذي استَلَّ مِنْ صَدْرِهِ قَلْبَهُ بِيَدَيْهِ لِيُشْهِرَهُ عَالِياً فَيُضِيءَ كمَا الشَّمْسِ ، كُنْ مِثْلَهُ :
يَتَدَفَّقُ نَحْوَ الأمَامِ يُمَهِّدُ للاخَرِينَ الطريقَ لِيَنْغَمِس الكلُّ فِي لجَّةٍ مِنْ أشِعَّةِ شَمْس .
بَدَا النهرُ أحْمَرَ ذَاتَ مَسَاءْ .
دَمٌ ثَجَّ مِنْ صَدْرِ « دَانْكو » غَزِيراً وأَلْقَى الفَتَى نَظْرَةً حَوْلَهُ واسْتَوَى ضَاحِكاً فَهَوَى .
كَانَ يَصْرُخ :
– مَاذَا سَنَفْعَلُ للنّاس كي يَسْعَدُوا ؟

* * *

حَلَّقَ الصَّقْرُ حَتَّى امَّحَى فِي البَعِيدِ الضَبَابِيِّ ، ثُمَّ اشْمَخَرَّ مَهِيض الجَنَاحَيْن ...
خَاطَبَهُ الحِفْثُ : لَنْ تَتَمَكَّنَ ثَانِيَةً !.
فَتَوَعَّدَهُ الصَّقْر : بَلْ سَأَطِيرْ !

---

(2) عنوان عمل قصصي لغوركي .

(3) أحد أبطال قصة «عجوز ايزرغيل» لغوركي .

وَحاوَلَ أن يَتَماسَكَ ، لَكِنّهُ ما استَطاعْ
تَهاوَى إلى السفْحِ : جثّةَ زنكٍ وَماتْ .
رَثَتْهُ الأغاني
وَأبّنَهُ الناي في كلّ فجّ بعيدْ .

....

مَضَى الحفتُ في ذاتِهِ ، يَتأمّلُ :
– لا بُدّ لي أنْ أطيرْ !
وَحاوَلَ ، حاوَلَ ، لَكنّهُ ما استطاعْ
وَحينَ استَبَدّ بِهِ العيُّ ، قالَ :
– هُوَ الزّحفُ لي ، وَلَهُ الإرتِفاعْ .

* * *

غجر يصعدون الى السماء (4) :

غَجَرٌ يَرتَقونَ السّلالِمَ نَحوَ السمَاء
أرَاهُمْ يَمُدّونَ أيْدِيَهُمْ عَالِيًا
وَالدّمُوعُ مُعَلّقَةٌ بَيْنَ سَفْحٍ مَضَى .. وَعُلُوّ فَضَاء ..
أرَاهُمْ حُفَاةً ، عرَاةً
يَطيرونَ ملتَحِمينَ كعِقْدٍ مِنَ الياسَمينْ
مَلائكَةٌ هُمْ ،
وَهُمْ رُحّلٌ أيْقَظوا المَاءَ واقتَنَصُوا رَوْعَةَ اللهِ ، في لا نِهَائيّةِ
الكوْن ، فانقَلَبوا أنبيَاءْ ..

يوسف رزوقه

---

(4) عنوان شريط سنمائي سوفياتي طويل مستمد من قصص غوركي .

اللغة بين معرفة الواقع وواقع المعرفة

بقلم : د . نور الدين كريديس

المشكلة أساسا هي كما طرحها آدم شاف **Adam Schaff** في كتابه « اللغة والمعرفة » ، ما يلي :

هل حقا أن اللغة تبلور الواقع وتشكله وتخلق صورة له في أذهاننا ؟
أم على عكس ذلك أن الواقع هو الذي يخضع اللغة لمتطلباته ، يطبعها ، ينعكس عليها ؟

هل صورة الواقع هي وليدة اللغة ؟ أم أن اللغة هي انعكاس لصورة الواقع ؟

ونحن هنا بين أمرين . أو قل بين تيارين . كان لهما كلمتهما في هذه المسألة . تياران ، جذوعهما عميقة في تاريخ الفلسفة وتاريخ الانسان عموما . هما المثالية والمادية . وفيها معارك ومجادلات قديمة حديثة ... وغاية هذا العمل هو محاولة الفصل بينهما في هذه المسألة مسألة علاقة اللغة بالواقع محاولا ألا يسقط واحدا منهما هكذا بصفة دغمائية ، بل يستنير بهذا وبذاك .. ويبحث عن الحقيقة في طيات الاول والثاني .. ولا بد أن يكون شيء منهما فيهما معا . آية ذلك أن المعضلات ، هي نفس المعضلات ، التي يعالجها ولكن الاختلاف على مستوى الحلول . ولعل هذا برهان على أن الكثرة انما عائدة بالنظر الى الواحد . وان الواحد هو الاصل وهو الاساس وأن النظريات المتأتية هي فروع أمرها كأمر الشجرة الوارفة جذعها واحد ثابت في الارض وفروعها رمز قوتها وثرائها .

إلا أن لهذه المسألة تاريخ طويل وطافح لسنا مطالبين في الخوض في جله نظرا لدقة المشكلة وكما نعرف فعلى قدر دقة المشاكل تأتي الحلول . والمشكلة على وجه التدقيق هي : ما هو دور اللغة في المعرفة ؟ واذا كانت المعرفة هي علاقة الذات بالموضوع .. فما هي بالتالي طبيعة هذه العلاقة ؟ وهل أن للذات

الكلمة الاخيرة فى تحديد معالم المعرفة الانسانية أم هى للموضوع ؟ وما معنى ان يكيف المجتمع المعرفة حسب حاجاته وما مكانة اللغة فى كل هذا الخضم ؟ وكيف السبيل الى الخروج من الحيرة التى وضعتنا فيها هذه الاسئلة ؟ وعلام اعتمادنا ؟

ولا ريب أننا سنجد هنا وهناك بعض الاضواء التى قد تجعلنا نتقدم شيئا فى تحليل هذه القضايا . وأول الاضواء هى النابعة من تاريخ الفلسفة وإن كان كما قلنا مشحونا بالآراء .

والتاريخ مدرسة عظيمة تجنب تكرر الهفوات التى سقط فيها العقل البشرى وترسم امكانيات تخطيها . زد على ذلك أن كثيرا من الافكار التى رغم أنها تؤكد فى ظرف وبيئة معينين تعود الى البروز فى ظرف آخر وبيئة أخرى لاحتياج المجتمع والانسان لايجاد حل لها . من هذه الافكار دور اللغة المؤسس للفكر .

وهردر Herder هو أول من طرح هذه الفكرة بكل ثقلها وعمقها فى نهاية القرن الثامن عشر . وهو يعتقد أن رؤية الانسان للعالم راجعة أساسا الى النسق اللغوى الذى ينشئها إنشاء . ولغة الامة متضمنة لهذه الرؤية ولغة الفرد أيضا . بحيث أن اللغة ليست مجرد أداة أو وسيلة..أو آلة بل أكثر من ذلك : هى الكل الحضارى والمستودع الثقافى والشكل الفكرى . هى كنز واكتناز من حيث ان تجارب وعلم الاجيال السابقة تكتنز كنزا فى اللغة التى بواسطتها تنقل هذه التجارب وهذه العلوم الى الاجيال اللاحقة . ومعها رؤية شاملة للكون وللانسان ولعل الكلمة الالمانية Weltan Schauung أصدق عبارة لها . وكل أمة تضبط داخل لغتها تجاربها وحقائقها واخطاءها وتنقلها الى الاجيال اللاحقة مصممة بهذا نظرتهم الشاملة الى كل شىء . فاللغة كالحق والجمال والخير وطنية عند هردر وملك من أملاك الوطن . اللغة هى قالب تصقل حسبه العلوم والمعارف والتفكير وأثناء التفكير نتدرب على التفكير بواسطة الكلمة أى بواسطة القوالب ونحن نفكر دائما داخل لغة بل بها . وبقدر ما نفكر تكون لغتنا . وبقدر ما تكون لغتنا نفكر . وهذا ما نعنيه حين نقول : إن اللغة هى شكل فكرنا . انها اذ تشكله تحده .

ان هذه الرؤية الشاملة المتضمنة فى اللغة ستصبح عامل تغيير فى العالم عند همبولد (Humboldt) . وهو يقر بأن اللغة تغير العالم وتصنع وجهته بل أبعد من ذلك تخلقه خلقا . وما دامت اللغة فى هذا المتطور عامل تغيير

صانعة له فيحسن أن ندرسها فى حيويتها وتحولها لا ككائن ثابت جامد . واللغة بالتالى ليست أثرا فحسب بل هى طاقة خلاقة والفرق هنا هو الفرق بين القوة والفعل . يقول همبولد : « اللغة هى تجليات روح الامم . اللغة هى روحها . وروحها هى لغتها . بينهما تطابق يستحيل التعبير عنه بكل دقة » .

وهذا شديد التشابه مع فلسفة هردر اللغوية الا ان الفرق بينهما هو اعتبار اللغة عامل تغيير . زد على ذلك اعتبار اللغة غير جملة المفـردات والالفاظ . فهاته الوحدات تفقد كل معنى اذا نظرنا اليها بمفردها . ولكنها تكتنز بالمعانى حالما نضعها فى المجال النظرى وهو شبكة الاشياء الموضـوعية فى لغـة مـا والمشتركة بين المتكلم والسامع . لذلك لا تفهم اللفظة الا بربطها مع مرادفاتها وأضدادها . ففكرة المجال (Champ) أو الحقل اللغوى هى اذن مـن ابـداع همبولد .. الا أن أهم فكرة عنده هى تضمن اللغة لرؤية شاملة للعالم وقدرتها على تغييره .

هذا فيما يخص تاريخ فلسفة اللغة ولعله من الاصح أن نقول تاريخ علـم اللسان الاول ولكن الفلسفة ايضا فى معناها الضيق اهتمت بهذه المشكلـة اهتماما كبيرا خصوصا وأن نظرية المعرفة تشكل الخبز اليومى لجميع الفلسفات والتخلص الى دور اللغة فى سياق المعرفة أمر ضرورى . ومن بين هذه التيارات فلسفة الصور الرمزية لكاسيرير la Philosopgie des fornis symbolitiques المرتبطة بالكانطية المحدثة والمذهب الاصطلاحى والوضعية المحدثة . وثلاثتها فلسفات معاصرة . وهذا ما يؤكد حيوية المشكل . وبغض النظر عن الاختلافات الطبيعية القائمة بينها فان العامل المشترك بينها هو اعتبـار اللغـة خـالقة لصورة الواقع ورفض اعتبارها مرآة للواقع .

وفى كتابه « فلسفة الصور الرمزية » ، يدحض كاسيرير فى باب « اللغة وبناء عالم الاشياء » نظرية المعرفة القائلة بأن الاشيـاء تنعكس على الـروح كانعكاسها على المرآة . ذلك أنه يرى أن الانسان يحتل مكانة هامة فى نظرية المعرفة . والانعكاس على المرآة لا يخلو من آلية ومن خضوع الى الاشياء . وتأتى هذا الدحض تحت تأثير الثورة الكوبرنيكية التى تقر ان الانسان هو مركـز الكون وأن المعرفة هى بناء العقل العارف . وهى اذن عبارة قوة مبتكرة أصيلة لا نسخة ميتة للاشياء ... ولا تسجيلا لها لا دخل للانسـان فيـه . والنفس الكانطى هنا كما ترون واضح جدا . الا أن كاسيريـر لا يريـد أن يبقى على

اللغز الذى تقوم عليه فلسفة كـانط وهـو الـ x ، الشىء فى حـد ذاتـه La Chose en doi . ذلك أن كل شىء عند كاسيرير يخضع للعقل العارف ، أو بالاصح لهذه الصور الرمزية التى تخلق صورة العالم وتبنيه بناء . وكل شىء هو نتاج للعقل وهذا هو ما يطلق عليه بالماقبلية التى تبرز بروزا عنـد كاسيرير من خلال ادماج الصور الرمزية كصور خالقة لعالم الاشياء . ويعرف كاسيرير هذه الصورة كقوة روحية متميزة . فهل هذا بكاف والامـر يتعلـق بالعمود الفقرى لنظريته ؟ ومن بين هذه الصور الرمزية : الاسطـورة والفـن والمعرفة العلمية واللغة التى يعتبرها الصورة الرمزية الـرئيسية اى القـوة الروحية المتميزة خالقة صورة العالم . ولكن هل هذا يعنى طمسهـا للاشياء الخارجة عن ارادتنا والمستقلة عنا ؟ نعم كل الاشياء عند كاسيرير مخلوقـات عقلية أو روحية . وذلك حتى لا يترك أية فرصة لتأثير الاشياء على العقل . اذن فنظرية الانعكاس وفلسفته عموما تندرج تحت لواء المثالية ولعلها المثالية الجذرية وهذا لا يعنى ضحالة فلسفته واسفافها بالعكس . ولكـن ضـرورة غربلتها ونقدها مثمرة بما أنها تعرضت لمشاكل عميقة .

واذا كان من العبث ان نزعم ان اللغة او العقل تخلق الاشياء فى حد ذاتهـا كأن تخلق نملة أو فراشة واذا كان من المعقول ان نزعم أنها تخلق معرفتنـا بها ، أفليس من الحكمة أن نتساءل على الاقل عن مكانية تأثير هذه الاشيـاء الموجودة خارج ارادتنا والمستقلة عنا على لغتنا ومعرفتنا ونظرتنـا الشـاملة الى الكون ؟

الا أن الاغرب من ذلك هو أن نزعم كالاصطلاحيين les conventionnalistes أن معرفتنا والقوانين التى يسنها عقلنا ولغتنا بصفة عامة هى أمر اعتباطى ، مجانى يخضع لارادة الانسان خضوعا ، مؤكدين أنه كان فى الامكان أن تكون للانسان معرفة غير هذه المعرفة وقوانين غير هذه القوانين ولغـة غير هـذه اللغة .. وهذا بايجاز زعم المذهب الاصطلاحى وهو فى تجاهله ورفضه القاطع لمقولة الضرورة ومبدأ الحتمية ينطلق من قواعد دينية صوفية مثـل لـوروا Le Roy أو ديهام Duhem إذ أن مبدأ الحتمية فى نظرهم ينقص من قدرة الله المطلقة ومن مشيئته ، ولعل هذه الحرية المجانية التى يركز عليها هـؤلاء الفلاسفة توكيد للذاتية بحيث أن العالم يصبح جزءا من الذات بما أن الذات هى التى تلونه وتقوؤه حسب اختيارها واختيارها المجانى لا حسب ضـرورة الاشياء . ويقول فيتقانشتين Wittgeinstien فى هذا الصدد : « إن حدود لغتى تعنى حدود عالمى . فالعالم عالمى أنا واللغة ترسم حدوده » وينجر عن هذا

القول الاغراق فى الذاتية والانانية المطلقة . وتبعا لهذا فان المشكلة تنحصر فى اختيار اللغة بادىء ذى بدء . وهى التى يتوقف عليها تحديد رؤية الانسان للعالم على أن اختيار لغة أخرى ينجر عنه رؤية أخرى . وفى حوزة الانسان أن يختار هذه أو تلك على أن يقر بما ينتج عن اختياره .. فهل فى هذا المنطق صواب؟ أحقا بامكانى أن أختار لغتى بطريقة مجانية؟ ثم أليس الاقرار باختيار كل للغته يؤدى الى انقطاع الاتصال بين الضمائر اذ لكل لغته ولكل حقيقته . وتصبح الارواح جزرا عائمة لا اتصال بينها .. زد على ذلك على مستوى أعم تصبح اللغة لا تترجم . لان لكل لغة صوابها ورؤيتها . ويستوى مقال الحكيم وكلام المجنون فكل صادق لأن كلا منهما اختار اللغة التى يعبر بها . اذن مذهب الاصطلاح فى صورته الجذرية يشكل نظرية متنافرة وغريبة لا يمكن الدفاع عنها . ولكن المشكل الذى يطرحه يبقىقائما برمته الا وهو : كيف تؤثر اللغة على شكل الفكر ؟ وكيف ينجر عن تغيرات اللغة تغيرات فى الفكر وأسلوبه ؟

على أن الفكرة الرئيسية التى تتكرر دوما فى مذهب الاصطلاح والوضعية المحدثة هى خلق اللغة لصورة العالم وتغير صورة العالم اثر تغير اللغة .

فهل لدينا برهان على صحتها اذا نزعنا عنا التأملات الميتافيزيقية ؟ وهل لا مفر من الرجوع الى واقع الاشياء والى التجربة لنأخذ منهما على الاقل منطلقات صحيحة وملموسة ان لم نقل الكلمة الاخيرة . ورغم صعوبة الاختيارات الفلسفية فان هذا لا ينال من قيمة الفلسفة على حساب العلوم الصحيحة . اذن ما دمنا نعتقد أن اللغة مبتكرة لصورة الواقع وأن تغيرها ينجر عنه تغير الصورة ، فانه بوسعنا أن نراجع هذا الاعتقاد ونختبر صحته بفضل العودة الى المجتمعات . ما دام لكل مجتمع لغته وفقهه وظرفه التاريخى المتميز فانه بامكاننا التأكد من أن هذه اللغة تتضمن رؤية للعالم وصورة للواقع أم لا ؟. والتحليل سيضعنا أمام أمرين : إما أن بين اللغات قسطا مشتركا ثابتا وبذلك تكون الرؤى متشابهة أو واحدة وإما أن بينها اختلافا جوهريا وتكون الرؤى بالتالى مختلفة وهذا يعنى انغلاق كل لغة على نفسها ويعنى أيضا ادماج مبدأ النسبية اللغوية كما أدمج من قبل بروتاڤوراس والسفسطائيون مبدأ النسبية المعرفية ، والقول : إن المعرفة تختلف من فرد الى فرد ... وهذه فى جملتها اهتمامات الاتنولنڤويسيكا L'ethnolinguistique أو لسانية الشعوب التى لمع فيها «سابير» و «وور.» Sapir et w'orf . والاتنولنڤويستيكا هى العلم الذى يدرس لغة وتفكير الشعوب ذوى الثقافات التى احتفظت نظرا لتخلف حضارى

ببعض الخطوط العامة للبدائية . وافتراض «سابير» و «وورف» يحتوى أساسا على ركنين :

1 ـ إن اللغة هى نتاج اجتماعى والمنظومة اللغوية التى نتربى فيها ونفكر داخلها منذ الصغر ، تؤثر على طبيعة ادراكنا للعالم المحيط .

2 ـ اعتبارا لاختلاف المنظومات اللغوية ، التى هى انعكاس بمختلف البيئات ، فان الناس تدرك العالم بطرق مختلفة : وهذا هو مبدأ النسبية .

ومن هنا فان «سابير» و «وورف» يؤكدان على تأثير البيئة فى تكون اللغة وعكس اللغة بصورة معينة للواقع ، وبذلك يخضعان هذا المشكل لجدلية حية بين المعرفة واللغة . فالانسان لا يعرف الا ما تسمح به اللغة واللغة لا تعكس الا ما يسمح به الواقع . بحيث أنه لا يمكن أن توجد لغتان متطابقتان تماما لانه لا يوجد واقعان متطابقان تماما . اذن مبدأ النسبية يشكل حجر الزاوية فى دراسات «سابير» و «وورف» فنفس الواقع الفيزيقى عندهما لا يثير نفس الصور عند ملاحظين مختلفين ، الا أن مبدأ النسبية اللغوية يحطم الحقائق الموضوعية ويحطم الحقيقة نفسها . فبقدر ما كان عطاء هذين الرجلين كبيرا فى الميدان التجريبى وبحث أسرار اللغة عبر الشعوب المختلفة ، فان عطاءهما كان قليلا فى الميدان النظرى .

ويبقى السؤال مطروحا : ما هو دور اللغة فى سياق المعرفة وفى سلوك البشر عامة ؟ نصل اذن بعد الاستفادة من التاريخ ومن استقراء الواقع الى تحليل المشكل تحليلا فلسفيا نقديا لاخلاء الميدان من التمويه والشعوذة والخداع .

وقبل كل شىء من البداية ونحن نتعرض الى اللغة والى الفكر وكأنهما منفصلان ، فهل هما فعلا منفصلان . وما هى اللغة وما هو الفكر ؟

إن جوهر المشكل ينحصر فى امكانية أو عدم امكانية تمييز عمليتين داخل الفكر الانسانى وداخل المعرفة بالتدقيق لان المعرفة هى جزء من الفكر الانسانى ومنها العملية الفكرية الخالصة ثم العملية اللغوية التى تأتى كرسم تزيينى للفكر ، هل هما مرتبتان متميزتان أم مرتبة واحدة ؟

فى علم اللسان اعتدنا ان نفرق بين اللغة والكلام (Langue et parole) أما الكلام فيدل على عملية ملموسة تحقق باشارات صوتية غايته ربط الاتصال بين المتكلم والسامع أو بين المتكلم ونفسه . وأما اللغة فتدل على جملة قواعد ومنظومة من القوانين والفرق بين اللغة والكلام هو الفرق بين المجرد

والمحسوس . الكلام هو اخراج اللغة من القوة الى الفعل في حين أن اللغة تمثل الجانب المجرد من الكلام والطاقات المكتنزة . وان كل كائن حي لا يستوعب – أن الاصوات والترتيبات الصوتية تحمل معاني ودلائل – لا يتمتع بخاصية الكائن الناطق.فشأنه شأن الببغاء يردد كلمات لا يعرف معناها ولهذا فان أيا كان الشكل اللغوي الذي نستخدمه وأيا كانت قبلته فهو لا يخلو من تفكير كعمل يربط بين الحامل المادي والمعنى . وكل فكر ، يتضمن استعمال لغة مستوعبة ليحصل الاتصال البين – الذاتي .

على أن الاطروحة القائلة بأن التفكير يكون دائما في لغة معينة محتاجة الى التحقيق والمراجعة . وعلى عكس التأملات الفلسفية والفينومنلوجية ذات الافادة الضئيلة تكون مساهمة علم النفس التكويني وعلم نفس الاطفال وعلم الاختلالات اللغوية والمتخلفين ذهنيا الخ ذات نفع كبير .

لنأخذ مثلا بياجي (Piaget) فانه يستنتج من دراساته وحدة فكر الطفل ولغته . فالطفل مستغرق في أناه، وهذا ما يطلق عليه بالـ (Egocentrisme) واستغراقه في أناه فكريا وجه آخر لاستغراقه في أناه لغويا . فهو لا يتكلم الا عن نفسه ولا يأبه لموقف الآخر . فمركز العالم ذاته واللغة تتمحور حول ذاته .

والى جانب بياجي ، فيڤوتسكي (Vygotski) والمدرسة السوفياتية في علم النفس التكويني . وفي كتابه « الفكر والشيء » يلاحظ فيڤوتسكي أن نمو الفكر واللغة في حياة الطفل يكون متوازيا الى حد سنتين . وانطلاقا من ذلك السن يصبح النمو متطابقا . نفس النمو . واحدا . متحدا . ووحدة الفكر واللغة هي في الحقيقة رمز السلوك الانساني وتميزه . وأهم اكتشاف في حياة الطفل قطعا هو اكتشافه أن لكل شيء اسم . هذا الاكتشاف الذي يؤهله الى أن يكون انسانا ويميزه عن سائر الحيوانات . ولعل هذه الفكرة أهم ما ورد في كتاب فيڤوتسكي زد على ذلك ، ما يقدمه لنا علم النفس الذي يعتني بالاختلالات اللغوية من أفازيا (Aphasie)وغيرها وبالتخلف الذهني،وبالاطفال المتوحشين وكذلك علم النفس الحيواني . وكل هذه المعطيات العلمية تزيد المبدأ القائل بوحدة الفكر واللغة رسوخا . فلنأخذ طفلا أصم أعمى ولنقم معه بالتجربة اللغوية التالية ، تعويضا للغة الصوتية العادية ، نمرر له مجموعة اشارات لمسية وسنلاحظ أن الطفل سيقفز قفزة هائلة الى الامام تخرج بامكانياته المخبأة الى واقع حي فلولا هذه اللغة ولو في مفهومها الضيق لما نما الطفل .

وهذا دليل قاطع على انعدام وجود فكر خالص بمعزل عن اللغة وعن كل علاقة باللغة . بالاضافة الى النتيجة الهامة الاخرى وهى أن الفكر أى اللغة فى حقيقة أمرها نتاج اجتماعى رغم أنها تكون دائما عملا فرديا ذاتيا . فاللغة ليست طبيعية فى الانسان الا من حيث أنها موهبة واستعداد للنطق وللتفكير واجب صقلها بالتربية لتنمو وتزهر والتربية هى هذه الحلقة الكبيرة الرابطة بين الفرد والمجتمع . وهى حاملة اسرار النمو الذهنى واللغوى . ويكفى أن نعزل أحدا ــ ولو هذا لم يقع الا فى حالة الاطفال المتوحشين ــ عن المجتمع اذن عن التربية لنلاحظ التخلف الذهنى الذى يسقط فيه ، وطفل محروم من موهبة النطق محكوم عليه بالتخلف الذهنى اذا لم يقع تدريبه من جديد على لغة أخرى كلغة اللمس ، وهذا ما يؤكد وحدة اللغة والفكر وكونهما ثمرة اجتماعية يأكلها كل فرد على طريقته .

وهكذا لا تكون النظريات الثنائية كنظريات هردر (Heder) أو برقسون (Bergson) أو غيرها مصيبة تماما . اذ أن الاساس والاصل هو الوحدوية. الوحدة بين اللغة والفكر . بين المادة والروح . بين الذات والموضوع . بين الله والانسان .

ويقول كارل ماركس (Marx) فى هذا الصدد : « اللغة قديمة قدم العقل، إن اللغة هى العقل العملى أمرها كأمر العقل ، تولد تحت تأثير الحاجة والنقص وتحت ضرورة التعامل مع الآخر » .

وهذه المقولة تدفعنا الى القول : بأنه لا يمكن أن يوجد فكر دون لغة ولا يمكن أن توجد لغة دون فكر . فعلاقة اللغة بالفكر عميقة جدا ولا يمكن فصلها بأى اعتبار. وجهان لحقيقة واحدة. بينهما جدلية مستمرة كجدلية الحياة يزهران معا . يذبلان معا . توأمان فى وحدتهما تساير وتطابق . تناسق لا اختلاط . ووحدتهما لا تعنى أن نعتبر احدهما على أساس انه الآخر .

وفلسفات الحدس والتصوف اذ تعتبر أن الفكر ممكن دون لغة بفضل تداعى الصور أو على أساس أن اللغة كساء للمعنى ، تسقط فى اللبس الذى لاحظناه وهو الخلط بين اللغة والفكر .

وعموما فدون رموز مهما كانت، وفى مفهومها العام لا يستطيع الانسان أن يفكر .

وكما يقول بوتينبا (Poténba) : « فانه حتى التفكير بدون الكلمة ليس ممكنا الا عن طريق الكلمة » . وبقدر ما تكون اللغة عملا فرديا بقدر ما هى عمل اجتماعى . انها مكيفة اجتماعيا ومستحيلة دون مساهمة الفرد المفكر . وهذا ما يجعل مشكل اللغة معقدا أكثر .
وتحت التعامل مع الآخر » .

اذن بعد ان استنتجنا ان اللغة والفكر وحدة متكاملة . ما هى علاقتهما بالواقع . ما هى علاقة اللغة بالواقع ؟

الواقع هو جملة الاشياء الموضوعية التى نتكلم عنها والموجودة خارجة عنا ومستقلة عنا . وتحليل علاقة اللغة بالواقع يساعدنا على التقدم حثيثا لتحليل الدور الاساسى الذى تقوم به اللغة فى عملية المعرفة . إن النزاع القائم منذ القدم والدائم الحيوية يتلخص فى كيفية ربط اللغة بالواقع . هل فعلا ان اللغة تخلق الواقع أم على عكس ذلك تعكسه ؟ هل هى مرآة عاكسة أم يد مبدعة ؟

لنا أن نقبل أن اللغة يد مبدعة لصورة العالم لكن كيف تبدع ومن أبدعها ؟

ولنا أن نقول : إن اللغة تنشىء صورة الواقع لكن من ينشئها أو بالتدقيق كيف تنشأ ؟

هذا التساؤل يجبرنا على ادخال المرونة فى الفكرة القائلة : إن اللغة تنشىء صورة الواقع وتقف عند هذا الحد .

نعم . اذا كانت اللغة خالقة فى معنى معين فهى أيضا خليقة. خليقة المجتمع والتاريخ . ولم تنشأ مجانا بل فى حلبة التاريخ وتحت الحاح الحاجة . خالقة العالم هى نفسها خليقته . بحيث أن المجان والاعتباط يزاحان من عملية الخلق، لانه اذا قبلنا أن اللغة أى الفكر ليست نتيجة اصطلاح اعتباطى ولا نتيجة عفوية لوظيفة بيولوجية معينة ولكنها قبل كل شىء نتيجة اجتماعية مرتبطة أشد ارتباط بالفعل الانسانى ، فانه من البديهى أن نقبل بالتالى أن صورة العالم المقدمة من طرف لغة ما ، ليست عفوية ولا مجانية . بل ضرورية . فهل هذا نقص فى نظرية خلق اللغة لصورة العالم ؟

نعم . وهذا ما يدفعنا الى الالتجاء الى نظرية الانعكاس (la thème du reflet) والقول بأن اللغة مقيدة بأمر الواقع الذى يطبعها ويشكلها ويجعل منها مرآة حية لـه .

ولكن ماذا نقصد من وراء كلمة انعكاس ؟ ان نظرية الانعكاس قديمة قدم التعريف الكلاسيكى للحقيقة مما يزيد فى الطين بلة نظرا لكثرة التأويلات والاختلافات على أنه يمكن لنا أن نفهم كلمة انعكاس فى ثلاثة معان . كعلاقة السبب بالمسبب بين مؤثرات العالم المادى وما ينتج عنها من أفعال نفسية وهذا المفهوم تكوينى(Génetique) وكالعلاقة التى تنشأ بين الافعال النفسية والمجتمع الذى يكيفها . وهذا المفهوم اجتماعى . كالعلاقة بين الموجودات ومعرفتنا وهذا المفهوم معرفى والعامل المشترك بين هذه المعانى هو قبول

وجود واقع موضوعى خارج عنا ومستقل بنفسه وهو الواقع الذى ينعكس على اللغة وعلى المعرفة الا أن نظرية الانعكاس لا تعنى دائما المادية .

واذا كانت نتيجة الانعكاس شيئا آخر غير الواقع الموضوعى فهذا دليل على مكانة الانسان فى سياق المعرفة . فالذات الانسانية لها دور كبير . ومن هنا تتحرر نظرية الانعكاس من الآلية والسطحية . فالانعكاس ليس الواقعية الساذجة أو المادية الآلية التى تعتبر الانعكاس قانونا جامدا بين المادة والصورة لا دخل للانسان فيه . ولعل الفكر المادى بحق (الماركسى) استوعب نظرية الانعكاس وفهمها فهما حقيقيا لانه لم يهمل الجانب الذاتى فى المعادلة . فالمعرفة من هذه الناحية عمل فردى رغم انها اجتماعية أصلا . فما معنى الفرد الانسانى ؟

هو كائن بيلوجى متميز بالتفكير وبالفعل بمقتضى التفكير . هو وحدة داخل شبكة اجتماعية كبيرة وعزله أمر خرافى . لذلك يكون الفرد ملتقى العلاقات الاجتماعية وهذا فى حد ذاته أهم اكتشافات كارل ماركس وان اشراك هذين العنصرين لكفيلان بقيام المعرفة . وينتج عن هذا ان اللغة لا تخلق الواقع بأتم معنى الكلمة . وأنها أيضا ليست مرآة للواقع بأتم معنى الكلمة . بل هى شىء من هذا وشىء من ذاك . لان خلق الواقع مشروط بمعطيات اجتماعية وتاريخية ولان عكس الواقع يحتوى على عنصر ذاتى وهذه هى نظرية الانعكاس فى معناها الصحيح .

وكما كانت المثالية عرضة للسقوط فى الذاتية المجحفة وفى فلسفات الحدس والتصوف تكون المادية بدءا من أرسطو عرضة للواقعية الساذجة أو المادية الميكانيكية . وبمجرد تنقيتهما من الشوائب الشىء الذى نرجو أن نكون قد قمنا به على قدر المستطاع ـ استطعنا أن نقبل أن تكون اللغة خالقة لصورة الواقع وأن تكون عاكسة له فى نفس الوقت . وينتفى التناقض بينهما . ولو أن التناقض شىء طبيعى .

ويمكن لنا فى الاخير أن نقول :

نعم . اللغة يد مبدعة .

نعم . اللغة مرآة عاكسة .

نعم للاثنين معا على شرط فهمهما على أساس صحيح . ويلتقى الخطان فى نقطة واحدة كثيرا ما تغيب عن الاذهان .

د. نور الدين كريديس

مَوْتُ أم

شعر: مصطفى النجار

(حلب)

وردة أنتِ على شط الـوجود   تشتكي الصخر ، وأشواك العدمْ
هيَ في الشطِّ تنادي : أين عطري   نظرة الحب ، وبوح ، وهممْ
أين فجر يسبق الليل ؟ ويودي   ببقايا الصمتِ ، يشدو ، يبتسمْ
وردةٌ أنتِ .. فسالتْ أدمـع ..   إن في الدمع حكاياتٌ وَهَمْ ؟
إن في الآذان وقرًا كيفمـا   أنتَِ الوردة لا يجدي الألمْ !
جفّت الصبوة فينا فتبدّى   هاتكُ الطهر ، حفياً بالقيمْ
هيَ في الجرحِ تنادي .. وتنادي..   أين يا أحباب ؟ فالصمتُ ندَمْ ؟

* * *

لو درى الناس لماتوا كمداً   إن في موتِ شذاها ، موت أُمْ ؟!

ننشر فى الأعداد القادمة

هل يمكن أن أتحدث هذي الليلة ؟ (شعر)	**مفرح كريم**
الرحيل مع البجع المسافر (ابداع)	**محفوظ الزعيبى**
أنت معذبتى هاجس لا يلين (شعر)	**محمد الأمين الشريف**
شاهد على لوحة 26 مارس (شعر)	**شعبان يوسف**
عيناك والضياع زمن الهزيمة (ابداع)	**منية الودرنى**
كلمات على وشام امرأة اسمها: الأرض(شعر)	**محمد المهدى بن نصيب**

زمن الخوف الضاحك

قصة: حياة بن الشيخ

وضع صاحب المقهى أمامه كوب العصير وقطعة كبيرة من الحلوى التي يهفو الى أكلها دوما . قال ضاحكا :

ـ أخدمك بنفسي يا سيدى ، والحساب علي . سيكون الكل مجانا اليوم ..

قال والدهشة تحفر وجهه :

ـ لم أرك منذ اسبوع عابسا .. ومنذ شهر ، ومنذ سنة .. بل منذ عرفتك .. كان العبوس طابعك . فما الذى غيرك ؟

قال ضاحكا وبطنه يضحك مداعبا سرواله الضيق الذى يعانقه، والسروال يضحك بدوره وهو يلثم الحذاء الجديد اللامع كخد الزنجية التي رآها منذ أيام . قالت له وشفتاها الغليظتان تصطكان ببعضهما : قبلني .. قال مترنحا ورأسه يدور من المفاجأة .. لا .. اعادت الطلب واحمرار صاخب يرتع بعينيها. « قلت قبلني ايها الـ .. » قال بعناد مشاكس : لا .. رفعت يدا سوداء كقطعة ابنوس وصفعته على خده . زادت صفعة اخرى واخرى . بقي مبهوتا يرمق الافق وفرائصه ترتعد . حينما عاد الى رشده . فكر ان يعيد لها الصفعة . نظر حوله . لم يجدها . من يومها وهو يتساءل أين رأى هذه الزنجية ؟ في أى ماخور التقى بها ؟ في أية حانة ؟ أمام أى مسجد ، في اليقظة أم في المنام ؟ أم الحمى هى التى .. ؟ نسي ذلك ..

ـ انتهى زمن العبوس يا أخي . جاء زمن الضحك الضاحك . فلنفرح معا ..

انسحب من أمامه ضاحكا ليلتقى باصحاب ضاحكين دخلوا المقهى لتوهم . عاد يتساءل أين التقى بتلك الزنجية اللامعة الخدين ليعيد لها الصفعة ، والناس حوله يضحكون . هرب من المقهى قبل ان ينفجر ضاحكا . سمع صوت الزنجية يطن في اذنه « بل هو زمن الخوف الضاحك .. اخبر هؤلاء البله ،

وحسبهم ضجيجا » مد يده محاولا مسك الصوت او صاحبته . لكن يـده لم تمسك غير هواء بارد شكه بقوة . بقي الصدى يردد ضحكة شعر انها سوداء حالكة كليل طويل مضجر .

سار في الطريق متعجبا .. ما هذا الهرج الذى يغزو قلب المـدينة ؟ مـا الذى جرى ؟

قال أول ضاحك صادفه :

ـ ألم تسمع الخبر ، لن نخشى بعد اليوم من النهاية · رسخت اقدام العالم وطابت لنا الحياة ..

ـ من اخبرك بذلك ؟

قال وهو يزداد ضحكا : ألم تسمع الراديو ؟ الناس كلهم فرحون للنبأ السعيد . كتب لنا الخلود . الا تضحك معنا ؟

ـ ان كان الراديو يبشر بالخلود فيعنى ذلك ان النهاية اقرب مما تتصور..

وضع أصابعه في أذنيه صائحا : لن اسمع ما سيعكر مزاجى . الانبـاء لا تكـذب ..

راح وجسمه يهتز ضحكا · همس المذيع بكلمات اخاء تجارية بصوت رقيق ناعم . فنزل السلام على الارض وملأ الحب صدر العالم فما على الحضور سـوى التصفيـق ..

سار خطوات . اعترضته قافلة من النساء الضاحكـات . قـالت احـداهن وعيناها تضحكان . وأنفها يضحك . وأذناها ترقصان في ضحك . وفمهـا العريض ، العريض يضحك :

ـ سيعم السلام الارض . تدخل الطمأنينة جميع البيوت · لا حـرب بعـد الآن · لا نزاع · لا قتال · انزاح كابوس الجندية · طوبى لكم وبشرى لنا· المحبة للجميع ..

ـ من قال ذلك ؟ أهو الراديو أيضا ؟

ـ سقط جنين من بطن أمه · هتف صارخا بهذه النبوءة · انها معجزة · أهلا بالعهد الجديد . الا تضحك معنا تعانق الخصمان . ارتجت اعطاف الارض

محبة. شدت الاطيار وغنت لأيام الود القادمة. شع بريق الامن فى كل الربوع وذاب الكون فى حرارة قبلة كانت أحر مما يحتمل • فراح فى اغماءة •

هناك سحب داكنة تتجمع فى الفضاء . تهب عليها الرياح فتفرقها . تغيب لحظات ، ثم تعود تتجمع بعناد فذ . غرد طير فوق شجرة واختفى بين الاغصان ضاحكا • وقف يرمق الجمع الذى بزغ أمام ناظريه فجأة فى منعطف ما • الناس يضحكون . يصفقون على وقع لحن شعبى حار .

وقف شيخ وسط الحلقة يترنح من الكبر، أخذ يلقى في النار برزمة أوراق يوشيها الغبار ، هتف ضاحكا :

ـ سنوات وأنا فى قتال مع أخى . لم ؟ من أجل رقعة أرض ملعونة . آلاف الرسائل افنينا العمر فى كتابتها •• لم نحتكر فيها السباب ولا التهديد ولا الوعيد . اليوم اكتشفنا اننا نحب بعضنا بعضا بعد الاحقاد والفراق الطويل. تصوروا ما أجمل الدنيا ان رفرف عليها الوئام ! فلنرقص لعهد الحب !

راحت أسنانه ضاحكة محاولة الفرار من حصار فمه لتمزق الورق قبل ان تلتهمه النيران .

همس احد الوقوف وهو يدس فى يده جريدة :

ـ اقرأ من الآن لن نسمع بكلمة خوف .. او مجاعة .. او قحط . سيعم الخير الجميع . ما عاد اثرياء ولا فقراء . لا عبد ولا سيد . الارض وما فيها لنا بالتساوى . شركاء نحن فى الافراح والاتراح . شركاء .. فلنضحك للعهد الجديد ..

شعر بالدوار عاد يمسك بخناقه فجأة . ارتعشت خطاه واصطكت ركبتاه. أخذ العرق يحرق جلده يلفحه بحمى باردة ، باردة كالموت .

ما الذى حدث للدنيا ؟ ماذا جرى للناس ؟ اسبوع مضى فى البيت . اسبوع مر بين الحمى ، وسقام سمره فى الفراش . كان العرق يتصبب من جسده وأشياء فى نفسه تبكى . جسده يبكى عرقا . والفراش يبكى لطول خضوعه للجسد السقيم . والهذيان يبكى حاله . قال هو الملل والمرض . لكن الطبيب

قال انها حمى يفرزها الجسم لترهق الفكر المعذب . لكن اليوم زال الخطـر . تغلب جسمه على الحمى ، فما للعقل يرفض تصديق ما يرى ؟

قهقهت الجريدة في يده . تطايرت اوراقها في الفضاء ضاحكة بعنف . لاحقها بعين مندهشة . تفرقت السحب مرة أخرى ضاحكة . بـأن قـرص الشمس متحديا ، ضاحكا . شعر بشيء في صدره ينحل . ينحل . يدفعه الى التمعن في لا شيء ..

اتكأ على جذع شجرة . اخذ يضحك بدوره . يضحك . ربما تغيرت الدنيا وانا طريح الفراش اصارع الحمى .. ربما . عاد يضحك . يضحك .

قفزت روحه ضاحكة . راحت تبحث عن مكان ما في السماء . سمع ضحكة الملائكة وهي تستقبلها ضاحكة .

وقعت الجثة تتمرغ في التراب ، لكن الارض كانت مغشيا عليها تبكي حلما غابرا ، غابرا قد عانق يوما مخيلة رجل مات حسرة في زمن ما .

غطت الجثة أوراق الشجرة المتساقطة وهي تضحك لاهية . بدت الشجرة حزينة ، حزينة ينز جذعها بخوف صامت يأبى الظهور .

شعر بدموعها الحارة تنهمر فوق خده تطلب منه تحقيق أمنية . لكنه ما عاد يستطيع أن يفعل شيئا . لقد تبخر كل ما فيه في الهواء الضاحك .

حياة بن الشيخ

من قصص الأعداد القادمة

العودة الى « عنابيا »	**جواد صيداوي**
حكاية ذات مساء	**بنت البحر**
البدلة	**محمد المختار جنات**
عندما تسقط الأقنعة	**شفيقة الساحل**
الرأس والذيل	**التابعي الأخضر**

المُنــاضِل ...

شعر : محمد علي الرباوي
(المغرب)

قالوا عنهُ : مناضلْ ،
يَحْمِلُ أتعَابَ الشعبِ المتوتر في صدْرِهْ ،
يحلمُ بالفجر يَرُش غلائِلَهُ
بينَ ضلوع حبيبته السمراء .

— • —

هذا الرجل الشائرُ ،
لم أكُ أعرفهُ عُضْوًا .. عُضْوًا ،
لكني ، بالأمس قرأتُ كثيرا عنهُ
سمعتَ كثيرًا عنهُ ؛
لهذا اليومَ أُفتّش عنهُ ؛
لأقرأ في الليل كتابَهُ
علي ألقى مصباحًا يدويا مُنْدَسًا بين سُطورهْ .

— • —

قالوا عنه : مناضل ،
ها إني سَفَرٌ

أَبْحَثُ في كلّ مَحطاتِ الوطن الهارب عن ذَاتِهْ .

— • —

مَرّتْ خيْلي بِبُيُوت الفقراءِ ،
طرَقْتُ مَساءً كلّ الأَبْوَابِ ، ولكنْ
كانَ فُؤَادي يَسْمَعُ صَوْتًا يَتَكرّرُ باسْتِمْرَارٍ
وَيَقُولُ بِنَبْرَتِهِ المَخْنُوقَةِ :
— « صاحِبُكَ الثائِرُ ،
في غَبَش الصبْح اسْتَوْرَدَ أجْنِحَةً
جَعَلَتْهُ يَمْخُرُ أمْوَاجَ المَجْهول » .
أَرْسَلْتُ عُيُوني دَاخِلَ كلّ سجون الوطن النّافِعِ
أَبْحَثُ عنهُ ، ولكِنْ
كلّ سجون الوطن المُحْتَلّ تُرَدّدُ :
— « صاحِبك العاشقُ
قد خرج اليومَ مِنَ المعلوم إلى المجهولْ . »

— • —

قالوا عنه : مناضلْ ،
وأنا مازلتُ أفتش عنه لأقرأ في الليل كتَابَتَهْ .

— • —

في مَطلَع هذَا الليل ابْتَلَعَتْنِي المقهى ،
أَخَذَتْني بينَ كرَاسيها عُصفورًا يبحثُ عن سكين ،
كانت عيْني تتصفحُ كلّ وجوهِ الزّبَنَاءْ ،
فإذَا الرجلُ الثائرُ

يخرجُ منْ دائرة المجهول إلى دائرة المعلوم الواسعِ ؛
مقعَدُهُ يتوسَّط رُوّادَ المقهى ...
لَمْ يكُ يقرأُ كتبَ الثورةِ والعشق عليهمْ ،
لم يكُ يُعطيهمْ درْساً في حمل السّيْفِ
وحمل الرّشّاش
وحَمْل المِدْفعْ
كانَ يُنادِمُ قنينةَ خمْر معَ بعْض الزبَناءِ ؛
لِهذا جحَظتْ عينايَ ،
تَحوّلتا نصْليْنِ ،
انْغرَسَا في صَدْرِهِ .

محمد علي الرباوي
(المغرب)

الرّحلة الأندلسيّة للوردانى والبحث عن المجد الضائع

بقلم : على العربى

على الوردانى شاعر ورحالة تونسى ، عاش فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن اذ ولد سنة 1861 ببلدة الوردانين من جهة الساحل وتوفى سنة 1914 (1) ٠

وهو من أوائل التونسيين الذين انخرطوا بالمدرسة الصادقية وتلقوا بها تعليما قوميا يجمع بين أصالة الثقافة العربية الاسلامية وبين العلوم الحديثة حسب المنهج الذى اختاره خير الدين بمعية نخبة من علماء عصره من أمثال سالم بوحاجب وبيرم الخامس ٠

وقد اتقن الوردانى اللغتين الفرنسية والتركية بالاضافة الى لغته العربية ، واستنجبه خير الدين فضمه كاتبا الى حاشيته ٠ ولما استقال من الوزارة الكبرى وشد الرحال الى الاستانة التحق به على الوردانى . وبقى بمقر الخلافة العثمانية سنوات عديدة اتقن خلالها اللسان التركى اتقانا جيدا ٠ وكلف فى السنة الاخيرة من اقامته باسطنبول بالمشاركة فى البحث عن المخطوطات العربية فى الاندلس بوصفه مترجما لهذه البعثة ٠

---

(1) ح٠ ح٠ عبد الوهاب : الورقات الجزء الثانى ص 463 ٠ ذكر أنه توفى سنة 1333 هـ / 1905 وهو خطأ مطبعى ٠ وانظر كذلك :
محمد الصالح المهيدى : مجلة مرآة الساحل العدد 2 السنة الاولى جويلية 1966 ٠

عاد علي الورداني في أواخر سنة 1888 الى تونس فانضم الى قسم الترجمة بالكتابة العامة للحكومة ، وشارك أصدقاءه من خريجي المدرسة الصادقية نشاطهم الثقافي وحضر اجتماعاتهم الوطنية ، ومن أبرز اصدقائه البشير صفر وعلى بوشوشة وغيرهما • كما كان يمد جريدة الحاضرة بمقطوعاته الشعرية بالاضافة الى رحلته الاندلسية التي نشرت تباعا على صفحات جريدة الحاضرة (2)

وتندرج مقطوعاته الشعرية ضمن باب الاخوانيات ، وهي أشعار على قلتها متينة السبك صافية العبارة ، الا إنها تخلو من تدفق الشعور وحرارة العاطفة على غرار شعراء عصره وناظميه •

وفيما يلي هذه المقطوعة التي أرخ فيها لوفاة عمر بن بركات رئيس جمعية الاوقاف •

أودى الرئيس وعقد هذا النادي   قطب السياسة سيد الانجاد
جبل هوى في الارض بعد مكانة   بلغت من العلياء كل مراد
ما كنت أحسب قبل وضعه في الثرى   أن الثرى يعلو على الاطواد
ويقول كل الناس في تاريخه   أودى الرئيس وعقد هذا النادي...(3)

الا أن أهم ما تركه علي الورداني هو الرحلة الاندلسية ، فمتى تمت هذه الرحلة ؟ وما هي الاماكن التي زارها في الفردوس المفقود ؟ وما هي انطباعاته عن هذه الرحلة ؟ عندما خطر للسلطان عبد الحميد الثاني أن يظهر للناس اهتمامه بالحضارة العربية الاسلامية وجه بعثة الى اسبانيا للاطلاع في خزائنها على الكتب العربية وباشارة من خير الدين شارك علي الورداني في هذه البعثة العلمية للقيام بمهمة الترجمة كما أشرنا سابقا ، وكانت رئاسة هذه البعثة للعالم محمود التركزي الشنقيطي وكان ذلك في أواخر سنة 1887 ، وهو التاريخ الذي ذكره الورداني في آخر رحلته ، في حين أن المرحوم حسن

---

(2) ابتداء من عدد الحاضرة الثالث الصادر يوم 16 أوت 1888 حتى العدد 103 الصادر في 15 جويلية 1890 موزعة على 28 عددا •

(3) جريدة الحاضرة 30 أوت 1888 م – 1307 هـ •

حسنى عبد الوهاب يذكر أنها تمت فى سنة 1878 أى قبل ان يقوم على الوردانى برحلته بعشر سنوات تقريبا • (4)

كما أن الوردانى ذكر فى مقدمة رحلته ما يلى : «لما كان يوم الاربعاء المبارك الموافق تاسع عشر ذى الحجة سنة 1304 (5) بارحنا دار الخلافة العظمى» •

واضح اذن أن الوردانى قد قام برحلته الى اسبانيا سنة 1887 وأنه بقى من 8 سبتمبر حتى 25 ديسمبر 1887 • أى قرابة أربعة أشهر وسنحاول تتبع على الوردانى فى هذه الرحلة منذ خروجه من عاصمة الخلافة العثمانية حتى رجوعه الى باريس مبرزين ما لفت انتباهه فى رحلته التى تعتبر من أهم الرحلات التى قام بها أحد الشبان التونسيين المثقفين فى أواخر القرن الماضى ونضع هكذا أمام القارىء أهم فقرات من هذه الرحلة التى لم تنشر لحد الآن رغم أهميتها واعتناء الكتاب الاوربيين بها (6) .

ولعل أهمية هذه الرحلة تكمن فى الازدواجية بين ماضى الاندلس المجيد وما فيه من عظمة سياسية وبين حاضر الامة الاسلامية وما يعتورها من ضعف وهوان انها سياحة فى ماضى المسلمين ولهاث وراء المجد الضائع يحسبه الوردانى قريبا ولكنه كالسراب بعيد ، وهكذا تسنى لكاتب تونسى أن يمزج فى رحلة عادية للبحث عن المخطوطات العربية فى اسبانيا بين حاضر مرير وماض عريق ، فيعيش هذا التقطع والغربة المرة ، وهو ما جعل لرحلته قيمة أدبية وفنية ومنزلة لا يستهان بها بين الرحلات السابقة واللاحقة •

من اسطنبول الى مدريد :

بعد أن تلقى الوردانى وصحبه «الاوامر العلية اللازمة والتعليمات المقتضبة من نظارة المعارف الجليلة» أخذ فى «التداركات السفرية فلما كان يوم الاربعاء تاسع عشر ذى الحجة سنة 1304» بارح دار الخلافة العظمى •

---

(4) ح• ح• عبد الوهاب : ورقات ج 2 ص 462 ، والغريب فى الامر أن أحدهم مسخ فصل المؤرخ حسن حسنى عبد الوهاب ونسخه منسوبا الى نفسه فى جريدة الصباح بتاريخ 6 سبتمبر 1979 •

(5) يوافق 8 سبتمبر 1887 •

(6) مثل هنرى بيريس فى كتابه اسبانيا كما يراها الرحالة المسلمون •

وقد وصف لنا البحر حال خروجه من مقر الخلافة العثمانية فقال : «وعندما ركبنا الفابور كان الهواء ساكنا لطيفا ومرآة الجو صقيلة جدا ومياه الخليج هادية الروع والوقت وقت العصر والشمس مائلة الى حيث الغروب (٠٠٠) ومازلنا كذلك حتى استترت عنا غرة الشمس وأشرق جبين القمر فشكلت للعيون أبهى منظر وأبهج مخبر ٠٠»

ويصف لنا بعد ذلك بوغاز الدردنيل وقد أثار انتباهه استحكاماته العسكرية ، ومكانته الممتازة لانه «المفتاح بين أوربا وآسيا» (7) .

وبعد مدينة ازمير وبوغاز مسينا بايطاليا يصل الىمدينة مرسيليا،وكجميع الرحالة العرب فى القرن التاسع عشر يهتم الوردانى بانتظام شوارع هذه المدينة ومنتزهاتها وملاهيها ، وفى هذه المدينة - كما يقول - «يدرس اللسان العربى وله معلمون من نصارى الشام يهاجرون اليها رغبة فى كثرة المرتبات، وهذا يدل على أن فرنسا تهتم كل الاهتمام برواج تجارتها فى البلاد العربية ورعاية منافعها بهذا اللسان» ٠

والطريق بين مدينتى مرسيليا وبوردو طويلة الا أن «مما يشوق الخاطر ويروق الناظر احاطة كافة سكة الحديد بالاشجار الظلية من الجانبين بحيث لا يكاد الناظر يتمكن من الاحداق اليها مع جسامتها لشدة الحركة والسير فتمرمر السحاب وتختطف الابصار اختطاف البروق كل ذلك دلالة على نمو العمران والترقى فى بلاد فرنسا ٠٠»

وتحدث الوردانى عن كثرة الانفاق بين مدينة ايرون ومدريد ، وأقل تلك الثقوب يعبره الرتل فى خمس دقائق وأعظمها ما يعبره فى عشرين دقيقة ، وقد اتخذها اللصوص مكمنا للسطو على المسافرين والتعدى عليهم ٠

وهنا ترد على ذهنه سانحة وهو يمر بين هذه الجبال الوعرة فيقول : « اذا تخلل الانسان بين هذه الجبال الشاهقة العديدة وتدبر فى أحوالها يظهر له جليا أن هذه الموانع الطبيعية هى السبب الذى أنقذ أوربا من هجوم العرب على بلادهم ، نعم ان العرب اخترقوا هذه الصعوبات وذللوا نواصى تلك الجبال

(7) يقول علي الدوعاجي وقد زار مضيق الدردنيل بعد اكثر من نصف قرن : « الدردنيل بين الغرب والشرق عشرون مترا من الماء على الاكثر » جولة بين حانات البحر المتوسط ص 49 ط 2

الشامخة والموانع المستعصية حتى افتتحوها عنوة ٠٠ ودخلوا الى ممالك فرنسا الى أن وصلوا مدينة (بواتيه) وهى على مقربة من باريس وهنالك وقعت المعركة العظيمة والملحمة المشهورة بين عبد الرحمان الغافقي وبين أمير الافرنج (شارل مارتل) وطالت الحروب بين الامتين واضطر العرب للانجلاء عن تلك الديار لعدم تعودهم على شدة البرد ومقاومة أخطار الثلوج (٠٠٠) والجبال المذكورة هى التى منعت العرب من التسلط على شمال اسبانيا زمنا طويلا لان حكم العرب لم يكن نافذا فى تلك الامم الا باستناده على القوة القاهرة وقصاراها عندهم الخيل والاسلحة الجارحة ، وهى انما يتسع ميدانها ويمكن جولانها فى الاودية والسهول لا فى الروابى والجبال » .

الورداني في بلاد المجد الضائع

وحال وصوله الى بلاد الاندلس ، وفى مدريد بالذات بدأ الورداني يتنفس الامجاد الضائعة ، فقد رأى على أبواب هذه المدينة نقوشا متقنة ملونة مأخوذة من آثار العرب ، الا أن هذه النقوش اصطنعت بالفن الاوربى فأصبح لا يتبينها الامن كان دقيق الملاحظة ، وله معرفة تامة بالنقوش العربية ٠

وشاهد فى هذه المدينة الشحاذين بكثرة فتذكر بلاده يقول «ومن الغريب أن الاوربيين يعيبون علينا لوجود السؤال فى بلادنا والشحاذون عندهم أشد نكبة وأبرد قلبا مما هم عليه عندنا »

وفى مدينة الاسكوريال يقبل الورداني على آثار القصور العربية الموجودة بالمدينة فيصف ما بها من نقوش ورسوم ، وقد استرعى انتباهه بقصر فيليب الثانى رسوم جدرانه التى تصور حروب دولة اسبانيا سواء كان مع العرب او مع الدولة العلية ٠

وقد عثرت البعثة المرافقة للورداني على أكثر من ألفي كتاب عربي ويعتقد الناس خطأ ــ حسب الورداني ــ «أن الكتب العربية الموجودة فى هذه المكتبة هى من مخلفات الاندلس ، وليس الامر كذلك فقد اظهر لى التحرى والتحقيق وكثرة المحاورة والمذاكرة مع أرباب الوقوف والاطلاع ان الاسبان لما ملكوا الاندلس أشار عليهم رؤساء الاديان بحرق الكتب الاسلامية لا سيما الدينية فكانوا كلما تمكنوا من بلاد أحرقوا كتبها الا ما بقى عند بعض الافراد وأن هذه الكتب هى من كتب زيدان أمير المغرب كان اشتراها من المشرق ، وبينما

مأموروه قد قدموا بها اذ فاجأتهم سفن اسبانيا الحربية قريبا من بوغاز سبتة (جبل طارق) فغلبتهم وغصبت هذه الكتب فهي في التحقيق من كتب حكومة مراكش لا الاندلس والذى يدل على صحة ما ذهبت اليه ما شاهدته مكتوبا على أغلب الكتب من أنها ملك الامير زيدان المذكور» .

وقد أطلعه بعض قسيسى مدنية الاسكوريال على أنواع من النقود الاسلامية وقد قرأ في وجهيها : لا اله الا الله ، والامر كله لله ، لا قدرة الا لله بالنسبة للوجه الاول ، أما الوجه الثانى فقد قرأ الوردانى الله ربنا ومحمد رسولنا والهادى امامنا .

وفى طليطلة أحس الوردانى بالغربة ، فقد انسدت أمامه السبل فهو يقف أمام بعض الآثار ولا يدرى لمن هى ؟ فلم يستطع محاورتها ، ولم يعثر على كتابة أو نقش يدل على بانيه وصحبه .

ويدلف الى قصر ابن هود فيرى تمثال شرلكان وقد كتب على قاعدته : « يجب أن أقيم بافريقية أو أدخل مدينة تونس عنوة » وحول التمثال المذكور أربعة مدافع صغيرة أخبره بعض الضباط أن شرلكان أخذها من تونس مدة حربه مع الحفصى » .

ولم يعثر فى مكتبات طليطلة عن الكتب العربية ، وسأل عن السبب فأجابه أحد القسيسين «ان نابليون لما حارب اسبانيا واستولى عليها أخذ أغلب الكتب ونقلها الى باريس وما بقى منها في المكتبات تناوشته أيدى الغوغاء فى أثناء الثورات المتوالية التى حصلت فى البلدان فكلما حصلت ثورة انتهبت تلك الكتب وحرق بعضها الى أن تلاشت بالكلية» وهكذا تفرق مجد العرب شذر مذر .

ووقف في اشبيلية « فاذا هو نزهة للناظرين وعبرة للمتفكرين اذا رأيته استقبلك بالبشر والاستئناس واذا استخبرته ناداك وتلك الايام نداولها بين الناس واذا تذكرت حال الاوائل تمثلت بقول القائل :

كانوا بدورا وكنا فى منازلهم نهوى حماهم ونرجو أن ننادمهم
فليت شعرى الى أى القرى ظعنوا فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم

وفى غرناطة وقف مشدوها أمام قصر الحمراء «وهو من أعظم القصور الاول التى أقلتها الغبراء وأظلتها الخضراء» .

ولاحظ الوردانى كثرة السواحين والمصورين الذين يسترزقون منها ، وهنا يذكر التآليف الكثيرة التى كتبها المؤلفون الاوربيون عن قصر الحمراء ، بيد أن اهتمامه كان منصبا على هذه الآثار الباقية التى تاه بين جنباتها ، ونقل بعض الابيات الشعرية منها ·

وفتحت بالسيف الجزيرة عنوة ففتحت بابا كان للنصر مبهما

أو هذا البيت :

فلو خير الاسلام فيما يريده لما اختار الا أن تعيش وتسلما

فاذا تأملت فى هذه النقوش جزمت حالا بأن العلم والصناعة بلغتا الدرجة الاولى فى بلاد الاندلس وأن الثروة والعظمة كانتا عندهم فى سعة ـ كما يقول الوردانى ـ ولا شك أنه كان ممزق النفس بين ما رآه فى بطحاء الاسود بقصر الحمراء وما قرأه بالخط الكوفى لا اله الا الله ولا غالب الا الله والغبطة المتصلة والنصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أمير المؤمنين ، وبين المجد الذاهب والحاضر المزرى · وخرج من هذه «الآثار الباكية» مسرعا ، ولكنه تذكر حديث ذلك العهد القديم :

اشخاصهم فنيت ولكن ذكرهم أبدا على مر الليالى باقى

وعند خروجه من قصر الحمراء قال له مزوره : «اننا استعملنا ثمانية قرون حتى زحزحنا العرب عن ملكها واستولينا على هذه القصور فقلت له أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده ولكن هل ترى أنكم أهدرتم دماء مئات الوف من جنودكم فيها فقال بل ملايين فقلت له إن طارقا عبد موسى بن نصير استولى على اسبانيا فى ثلاث سنين ولم يكن معه الا واحد وعشرون ألف مقاتل فاعترف بهذا المقدار » وفى قرطبة دار الخلافة الاسلامية وتخت الحكومة الاندلسية نحو خمسة قرون كانت مجمع العلماء العاملين والحكماء الاساطين وهى اليوم ليس فيها من ديار منهم ولا رواية عنهم ، اذا جاء المحمدى لبته الآثار وشاركته الاطلال بلسان الاندثار :

لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتقضت الاوطار »

وعندما يرى مزارع الزيتون بقرطبة يتذكر بلاد الساحل بزياتينه وبساتينه ويخيل اليه كأنه يعيش فى مسقط رأسه الوردانين ، ولكنه سرعان ما يشعر

بالانقباض عندما ريد زيارة جامع قرطبة الذى «هو من عجائب الدنيا» فيأمره القسيس بنزع الطربوش اذا اراد زيارة هذا الجامع الكنيسة .

أما فى بنسية فلم يبق من المجد الضائع سوى بابين عظيمين من أبـواب المدينة ، وعلى يمين كل واحد منهما ويساره حصن من حصون أهل أنـدلس وكلاهما اتخذ سجنا بالمكان وليس للاسلام بها غير ما ذكر ، وقس على ذلـك مدينة برشلونة التى ليس فيها من الآثار العربية شىء الا منزه واحد يسمونه الرملة .

بيد أن الاثر الباقى الذى لاحظه الوردانى هو تردد كلمات عربية فى اللغة الاسبانية وهى منديل وقنطرة وقصر وقاضى ، وبالجملة وصل عدد الكلمات العربية فى هذه اللغة الى ثلاثة آلاف كلمة الا أن بعضها طرأ عليه التحريف ٠

ويتساءل الوردانى هل من نسل عربى فى هذه البلاد مع بقاء أسماء عائلاتهم فيجيبه أحدهم : «لا أثر لذلك البتة» ولكنه يلتفت حوله فيشاهد عادات العرب عند أهالى اسبانيا «من ذلك لباس نساء البادية بها فان كيفية ثوبهن كثياب نساء البوادى بتونس ٠٠ كما ان الرجال الذين يشتغلون بخدمة البساتيـن لا يلبسون السراويل طوالا بل حدها الى الركبة مثل لباس رجـال تونس » وبالجملة فقد تتبع الوردانى الآثار العربية حسا ومعنى فرأى هذا الامتـزاج العجيب فى عاداتهم ولغتهم وحتى فى أجسامهم « من ذلـك حـال نسـائهم فانهن من أجمل نساء أوربا لامتزاج الدم الاسبانيولى بالدم العربى وتناسب الالوان والاشكال فى أغلبهن وهن فى الحقيقة أجمل من نساء فرنسا الا أن هاتيك ربات خلاعة وآداب أخرى ، وتتميز الاسبانيوليات بقلة التبرج وعـدم مزاحمة الرجال والاختلاط معهم لقلة خروجهن وعدم تعودهن على التجول الدائم والتهافت الكثير» ٠

ويختم الوردانى رحلته باثبات قائمة فى المخطوطات العـربية الهامـة التى سافرت البعثة من أجلها ، بيد أن الاهم من كل ذلك هو تصوير هذه الرحلة لمشاعر الوردانى واحاسيسه ازاء الحضارة العربية الاسلامية الغاربة فى الاندلس وتحسره على ماضى المسلمين ومجدهم الذى فرطوا فيه بتناحرهم فيما بينهم وتفرق كلمتهم ٠

أما الجانب الثانى فيتمثل فى حضور تونس ــ الوطن والناس ــ فى ذهن الوردانى أينما حل وحيثما نزل : اذ يلجأ الى المقارنة والمقايسة بين وطنه وبين ما شاهده فى اسبانيا كأنه فى شوق الى العودة والرجوع الى مرابع الطفولة والصبا .

ومن خلال هذه الرحلة تبدو لنا جرأة الوردانى فى التصريح بهمجية الفرنسيين فى سطوهم على المخطوطات العربية واتلافها وفى التلميح الى غزو تونس من قبل فرنسا مذكرا هذه الاخيرة بأن أبواب باريس كادت تطرق بعنف من قبل القائد عبد الرحمان الغافقى فى يوم ما .

وهكذا فان الرحلة الاندلسية تعبر بدقة عن مشاعر مثقف تونسى ازاء الحضارة العربية الاسلامية أولا وتبرز موقفه مما يتهدد البلدان الاسلامية فى عصره ثانيا ، وتعطى ملاحظات دقيقة عن أحوال اسبانيا سياسيا واجتماعيا فى أواخر القرن الماضى أخيرا .

على العريبى

دراسات ستنشر مستقبلا

نظرات فى الاسلوب (الدقلة فى عراجينها)	**عبد المجيد النفزي**
أنا مسكون فقط يعشق الشعر فقط	**الصادق شرف**
مع محمد مزالى فى « دراسات »	**حسنى سيد لبيب**
نظرة فى رواية « عائشه » وشخصياتها ..	**محسن بن ضياف**
محمد المرزوقى القصاص	**نور الدين بن بلقاسم**
الوضع الابستملوجى للسانيات	**صالح الكشو**

نحو تصور استراتيجى لشروط العمل الاجتماعى العربى المشترك
بقلم : **المنصف ونـاس**

رحيل الضوء صوب الصحارى بظلي

شعر : هشام المهدي

1) فاتحة المنفى :

... رحلتُ إلى عالم قزحيٍ اللهاثِ ،
وحولي الحمامات .. تائهة
والمدائن تنأى بعيداً ..
وكل الفصول .. معجلةٌ ..
تتلاقى ، .
وهذا الجفاف يؤدي إلى جثّتي ..
– تصبّ العصافير في البحر أوجاعَها ..
تنضبُ الشمس ما اتسعتْ ضوأَها ،

يحلمُ الثلجُ ..
والثلجُ أوحى لها ،
ثم تأتي على الغيم ..
تنشرُ إخفاقها .. وتغيبُ ..
أنا ما مَسَسْتُ الترابَ المعتقَ ،
فهو يؤدي إلى جثتي

2) خبـر يخضـع للغيـوم الخـاصة :

هي الشمـس تأتي مجـزأةً ..
والفصول نـأتْ ..
رَحَّـلَ الضوءُ صوبَ الصحـارِي ..
بظلي ،

تسلقـتُ جاريـةً منْ جـوارِي
الملـوكِ الأوائـل ،
جئـتُ .. معي كسـلُ الريـح .. تعـدو
ورائي التـواريخُ مسكونة بالجـراح
وفي مقلتيَّ .. موزعـة دمعـاتُ الـرفاقِ ..
هي الأرض طيبـةٌ .. والعصافيـر مثلي ..
مشجـرة بالعنـاقِ ،
وبين الزياتين أتعابُ وجهي الرديء .. الحرائقُ والحزن تأتي
(تأملتُ بالرغـم مني اللجوءَ الكسيحْ
وفي زمن الزمهـرير المعتـق ذُبْـتُ .. لكي أستـريحْ ..)
أيا وطن الشمس و الفـلَّ فـوق جَبْنيـكَ .. يحتـد حـزنـي ..
وتبقـى معي امـرأةٌ في انتظـار القـرارْ
وتصرخ فيَّ التمـاثيـلُ خـذهـا .. !
وينهـدُ في نغمتي الإعتـذارْ
(أرى وجههـا في البقـاعْ ..
وخيمتهـا في مغيب الشعـاعْ ..
وبهجتهـا في فـم الالتيـاعْ .
أرى وجهها في دمي ..

ودمِي حاملاً جثتي ،
وأرى في يَدِي ..
مِنْ يَدَيْهَا يَدِي !)

3) يا وطني :

ما هذا وجهي
إلى كتفي .. !
وحدود البحر على بدني ..
ونجوم شتى تخطفني ..
تنأى الأمواج .. وعنكِ تبعدني ..
يا وطني ..
يا وطني ..
أحزان كبرى ..
أحزان أخرى
ستُلازمني ..

4) أيتها الصديقة :

لك الحلمُ .. والصبوَاتُ
ولي كمد العاشقينْ
ولي في اليدين التشفي
وبعض القرنفل فوق الجبين
وَبَيتِي أنا قمر قدسي
حدوده من يَاسمينَ ...

هشام المحمدي
(منزل تميم)

تونس في نظر الشعراء الجزائريين

بقلم : د. محمد صالح الجابري

— 2 — (*)

وهكذا يسجل لنا شعر (ابى اليقظان) المواقف الاولى التى وقفها هذا الشعر من قيام الحزب الحر الدستورى التونسى ، ومدى تعلق الزعماء الجزائريين المقيمين بتونس بهذا الحزب وبزعمائه خاصة اذا ادركنا أمرين اثنين أن هذا الحزب جمع نخبة من الاصلاحيين ذوى النزعة العربية والاسلامية مما دفع الزعماء الجزائريين ولا سيما ابناء الجنوب الجزائرى من بنى ميزاب الى التعلق بالغايات الكبرى والاهداف البعيدة لهذا الحزب والتجاوب مع نزعته المغربية الاسلامية .

ثانيهما التفاف الجزائريين حول شخصية عبد العزيز الثعالبى الذى كان من اصل جزائرى ، الامر الذى حدا بعدد من الجزائريين الى تحمل مسؤوليات هامة فى اللجنة التنفيذية لهذا الحزب ، اضافة الى ان الثعالبى كان فيما يبدو يعد الحزب للمناضلة عن المغرب العربى بأسره ، وهو ما جعل دعوته تلاقى اهتماما كبيرا فى نفوس الجزائريين الذين كانوا يتعطشون لحركة سياسية متكاتلة تجمع بين زعماء القطرين ، اذا عز أن تجمع بين زعماء الاقطار المغربية الاخرى .

وليس من العجب حينئذ ان نظفر فى مقالات وقصائد الشيخ أبى اليقظان كل ما تزخر به من اعجاب وحماس لتونس وشعبها (12) ، وخاصة الحزب الدستورى وزعيمه الثعالبى . ذلك أن الفضل الاول فى بذر الافكار الثورية

(*) انظر الفكر عدد 4 — جانفى 1984 .

(12) راجع فى هذا الصدد ما ادرجه الدكتور محمد ناصر فى كتابه (ابو اليقظان وجهاد الكلمة) ص 278 من عناوين متعددة لهذه المقالات فى صحف ابى اليقظان .

والتوعية السياسية وتجنيد الشاعر للعمل النضالى السرى والعلنى يعود فى الاساس الى الزعيم الثعالبى الذى مهد لقيام الحزب الدستورى بجمع فصائل من الشباب الزيتونى المتعلم ونظمهم فى سرايا للتدرب على حرب العصابات كما يذكر الشيخ ابو اليقظان فى مذكراته المخطوطة التى تحمل عنوان (نشأتى) والتى اورد منها الدكتور محمد ناصر فى كتابه عن (ابى اليقظان وجهاد الكلمة) هذه الفقرة التى أوردها رغم ما فيها من طول لما تتضمن من الحقائق الطريفة عن الصبغة المغربية لكفاح الرعيل الاول ، وعن فكرة العمل المسلح ضد الاستعمار التى لم تكن مستجدة فى تاريخ النضال الوطنى المغربى ، وأيضا لتأكيد مكانة زعيم هذه الحركة وهو الشيخ (عبد العزيز الثعالبى) فى نفوس الجزائريين • واسهامه العملى فى تنشئة جيل (أبى اليقظان) وبقية الزعماء الآخرين الذين كانوا أعضاء فى اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستورى التونسى ـ تنشئتهم التنشئة الوطنية التى أفادت منها الجزائر والمغرب العربى بصفة عامة فضلا عن تونس •

يقول ابو اليقظان فى التعريف بهذه المنظمة السرية التى أنشاها الثعالبى وضم اليها الجزائريين : «حيث كانت الحرب العالمية قائمة قاعدة على سوقها ، فاننا صادفنا تنشئة تشكيلات سرية ترمى بمجموعها فى اشعال نار الثورة فى شمال افريقيا بزعامة عبد العزيز الثعالبى ، وكنا انخرطنا فى تلك التشكيلة بشروط وخطط وقسم لا مجال لذكرها هنا ، وهى ترمى الى التزام المنخرط فيها لانفاذ كل ما تأمره به التشكيلة ـ وهى سرية طبعا ـ من قلب نظام الحكم وتخريب المؤسسات وتحمل مسؤولية القتل والاغتيال الى آخر ما يعرفه الثوار ، فيشمل فيها زعماء الاقطار الثلاثة ، ليبيا المجاهد الكبير سليمان البارونى ، تونس الزعيم عبد العزيز الثعالبى ، الجزائر الامير خالد الهاشمى ، المغرب زعماء أظن من بينهم عبد السلام بنونة ، واحمد بن لفريج .

هكذا كانت هذه التشكيلة السرية ناشطة فى عملها لتكوين الخلايا التى اقسمت على المصحف أنها تعمل بمبادىء هذه الجمعية ما دامت فى الحياة» (13)

ورغم ما أصاب الحزب الدستورى التونسى من التصدع والتشتت بداية من سنة 1925 ، حيث عملت فرنسا على تشتيت عناصره وابعاد الجزائريين منهم كما ذكرت الى الجزائر وايداع التونسيين فى السجن ثم سفر زعيمه الثعالبى فى رحلة طويلة الى الشرق دامت خمسة عشرة سنة بأكملها ورغم كل ما حدث

---

(13) (أبو اليقظان وجهاد الكلمة) ص 90 •

فقد ظل الجزائريون الى ما بعد قيام الجناح الجديد للحزب بزعامة الحبيب بورقيبة يشعرون شعورا عميقا بالتعاطف مع الثعالبي كرمز للزعامة المغربية.

ولذا رأينا الصحف الجزائرية تهتز طربا بمجرد عودة الثعالبي الى تونس فكتبت مقالات مطولة تبشر بعودة الروح الى الحياة السياسية المغربية، واوفدت الاحزاب الجزائرية وفودها من الشعراء لتحية الزعيم العائد في سنة 1937 (14) كما حضر الى تونس الشيخ (عبد الحميد بن باديس) نفسه رئيس جمعية العلماء المسلمين لنفس الغاية .

وبهذه المناسبة وقف الشاعر (مفدي زكرياء) (ممثل حزب الشعب الجزائري) يحيي عودة الثعالبي بقصيدة بعوان (الشمال الافريقي يتحد) كناية عما كانت تمثلة زعامة الثعالبي من رمز لوحدة المغرب العربي حاثا التونسيين والجزائريين معا على الاحتفال بهذا اليوم العظيم ، واصفا خروج الجموع لاستقبال زعيمها بخروج الجموع يوم عرفات حيث يحتشد الناس افواجا في المواكب العظيمة :

أيها النازلون في كنف الله وفودا تتلو الغداة وفودا
الميامين من سلالة قحطا ن ، وديدون والكرام جدودا
بين بشرى تكسو البلاد رواء في نهار غدا لتونس عيدا
ورعيل هناك حول رعيل بات يرجو على الرصيف البريدا
فكأن الخضم حوض ، وهذا الشعب قد جاء حوضه المورودا
فكأن الجموع في عرفات تتهادى خلف الامام سجودا
وكان السفين ليلة قدر اقبلت تحمل الهدى والخلودا
قد حداها عبد العزيز كما يحدو سليمان في البساط المريدا (15)

ثم يلتفت ممثل حزب الشعب الجزائري بعد وصف الجموع ، ومظاهر البشرى التي عمت النفوس والقلوب ، مرحبا بالزعيم العائد بعد غياب طويل ، وسياحة سياسية تركت فراغا ولهفة لدى كل الزعماء وخاصة الزعماء الجزائريين فيقول :

---

(14) عاد الشيخ عبد العزيز الثعالبي الى تونس في شهر جويلية 1937 .
(15) (الوطن) 8 اوت 1937 ، 15 اوت 1937 .

مرحبا بالعزيز ينزل من مصر وأهلا ومستقرا سعيدا
نزلا أيها الزعيم كريما وقدوما مباركا محمودا
سر على الارض أيها الشيخ هونا وامش فوق التراب مشيا وئيدا
صافحتك البلاد فى نشوة النصر كما صافح العرين الاسودا
وأحلتك والحشاشات يذكيها لهيب الرجاء زمانا بعيدا
وتلقتك بعد خمس وعشر كن عهدا على البلاد شديدا
أمة كنت حولها العين والسمع وكنت الاب الرحيم الودودا (16)

والى جانب المعانى السياسية الواضحة التى تتضمنها القصيدة ، والتأييد المطلق الذى حظى به الثعالبى من قبل الجزائريين ، رغم الخلافات السياسية التى كانت على أشدها آنذاك بين الزعامات القديمة والزعامات الجديدة للحزب الدستورى التونسى ، فانه بدون شك قصيد بديع مؤثر ملىء بالصور الشعرية وباللمحات الفنية ، ما كان لشاعر أن يكتبه او يرتجله اعتباطا لولا ان تكون هناك وشائج خاصة ، ومحبة عميقة تنطلق بها المشاعر دون خشية او تهيب ٠

ولم يكن موقف (حزب الشعب الجزائرى) بأقل تأييدا (17) او حماسا من موقف (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التى مثلها فى استقبال الثعالبى زعيمها المصلح (ابن باديس) الذى كانت تربطه بالثعالبى صداقة خاصة ، وتجاوب يتجاوز مجرد الاحساس بمكانته السياسية الى الشعور بالوشائج الدموية التى كان (ابن باديس) يباهى بها ويرى من خلالها الثعالبى زعيما جزائريا تونسيا ، للجزائر فى زعامته نصيب تونس منها ولعل للجزائر الفضل (18) فى أنها اهدت تونس هذه الشخصية التى كانت أحوج ما تكون اليها فى كل مراحل كفاحها الوطنى ٠

حتى أن الشيخ (ابن باديس) كان لشدة احساسه بالروابط المتعددة التى تربطه بالثعالبى يبيح لنفسه أن يذكره بالاسم المجرد دونما صفات أو ألقاب:

---

(16) المصدر السابق ،

(17) للمزيد من التفاصيل حول الاسباب السياسية الكامنة وراء هذا التأييد انظر ص 45 من كتاب (النشاط العلمى والفكرى للمهاجرين الجزائريين بتونس) ٠

(18) كان الشيخ ابن باديس كثيرا ما يؤكد على الاصول الجزائرية للزعيم الثعالبى القريبة منها والبعيدة فيقول فى احدى مقالاته بمجلة (الشهاب) سبتمبر 1937 ما يلى :

(اسرة الثعالبى جزائرية ، وهو مولود بالجزائر ، وجده ممن شاهد

« هكذا أذكره دون لقب أو صفة فان هذا الاسم لم يبق على ذات مشخصة تحتاج الى صفاتها والقابها ، بل صار فى اذهان الناس علما على الرجولة والبطولة والزعامة وعلى التفكير والعمل والتضحية ، وعلى الاسلام والشرف والعروبة وعلى وحدة افريقية ·

فاذا قلت عبد العزيز الثعالبي فقد قلت هذا كله» (19) ·

وعند رجوع ابن باديس الى الجزائر من هذه الزيارة نشرت مجلة (الشهاب) صورة له مع الشيخ الثعالبي وقد وشحتها بأبيات شعرية لامير شعراء الجزائر الشيخ (محمد العيد آل خليفة) ترمز الى التآخي والى وحدة شمال افريقيا فى شخصيتهما المتحدتين فى الخلال والصفات وفى الالفة والاتصال ، وذلك تأكيدا على الروابط الروحية والفكرية التى تجمع بين الزعيمين :

هذا مثال التآخي ... يا حسنه من مثال
رسم الزعيمين فيه ... رمز اتحاد الشمال
كلاهما اليوم ركن ... وموئل للهلال
كلاهما بدرتم ... كلاهما نجم فال
عاش الزعيمان دهرا ... فى ألفة واتصال
ويسر الله سعيا ... قاما به للكمال (20)

ان التأييد المطلق الذى لقيه الثعالبي وحزبه من طرف الاصلاحيين الجزائريين بقى أمانة ودينا فى ضمائر التونسيين من اعضاء الحزب الدستورى القديم فلم ينس هؤلاء هذا الموقف الذى وقفه المثقفون الجزائريون ، وخاصة موقف زعيمهم الروحى ابن باديس مما جعل أمير شعراء تونس يستعيد هذه الوقفة فى المناسبات المختلفة كلما مرت ذكرى ابن باديس او تداعى ذلك التاريخ فى الاحتفالات التى درج على اقامتها الجزائريون المقيمون بتونس احياء لذكرى ابن باديس ·

وفى احدى هذه الذكريات وهى الذكرى التاسعة لوفاة المرحوم (ابن

بعضا من معارك الجزائر فى رد الحملة الفرنسية واصيب برصاص العدو وبقيت اثاره فى صدره فكان يكشف عن ذلك الصدر لعبد العزيز فى صغره ، ويذكر له الجزائر والاستيلاء عليها وهجرته هو وغيره من الجزائريين من ذلك الاستيلاء) ·

(19) (الشهاب) سبتمبر 1937 ·

(20) (الشهاب) سبتمبر 1937 ·

باديس) كتب أمير شعراء تونس (الشاذلي خزندار) (21) احد اقطاب الحزب الدستوري القديم قصيدة تمجد (ابن باديس) وتحيي الاخوة التونسية الجزائرية التي ظلت موصولة طيلة هذه السنوات وكانما بذلك يرد الفضل لذويه ويجيب شاعر الجزائر محمد العيد على قصيدته (روابط لا تبيد) التي نشرها بمجلة (الشهاب) قبل اثنتي عشرة سنة . وفي هذه القصيدة التي اقتطفت جريدة (تونس) بعض ابياتها فقط يقول الشاعر مخلدا مآثر (ابن باديس) مشيدا بخصاله في بناء وحدة الشمال الافريقي :

أخت الجزائر تونس الخضراء　　كلتاهما ـ وهما سيان ـ سواء
يا هؤلاء وما الدعاء لغيرنا　　في الذكريات لهؤلاء وفاء
نفح البطولة ما سرى في امة　　الا وشعت حولها الاضواء
أخلاق بن باديس في احساسه　　هم لابن باديس اليد البيضاء
في كل قلب مغرس في حقله　　صدحت على افنانه الورقاء (22)

ويلتفت الشاعر في قصيدته الى ما ترك (ابن باديس) من حافل الاعمال ، وما تزدخر به ضمائر التونسيين من ود واكبار لمواقفه ، فيذكر بها الاجيال الطالعة علها تستنير بمآثر ما خلفت هذه الشخصية الباهرة من ذكريات عطرة فيقول :

يا تاسع الحفلات في تكريمه　　انت السجل ونحن فيك ثناء
لي فيك ما بين الجوانح مجهر　　عنه انجلت لي الروضة الفيحاء
ما زال في سمعي وفي نظري وما　　عنه انطوت في المقتنى الاحشاء
ولسوف تحتمل العصور حمولنا　　وبها يسير شهابه الوضاء
في كل جيل مهيع من نبعه　　للناس فيه هداية وشفاء (23)

ـ يتبع ـ

د. محمد الصالح الجابري

---

(21) محمد الشاذلي خزندار (1881 ـ 1954) سليل أسرة من المماليك ، لكنه تمرد على المال والجاه واصبح من المناضلين الخلص للشعب التونسي ، وانضم الى الحزب الدستوري منذ نشأته في سنة 1920 ودخل السجن فلقب لذلك بأمير الشعراء ، له ديوان (خزندار) 1972 .

(22) (تونس) 4 ـ 9 ماي 1949 .

(23) المصدر السابق .

أُقسمتُ بالشفاه: أُحبّكَ !

شعر: محمد أحمد سابي

أُحبكِ أقسمُ بِالشّفتينِ   شفاهكِ .. والشّعر المُسْبَلِ
أُحبُّكِ ماذا ! ؟ وكيف أقول ؟   لقدْ ضاعَ حَرْفِيَ في الجُملِ
سَأَبْقَى أحِبكِ لاَ تَعْتَبِي   فَحُبِّي إليكِ بِلاَ أَجَلِ

* * *

بِعَيْنَيك رَخْوَة عشق تنادي   تلحَ فويحيَ مِنَ الزّلَل !
أُقَاومُ لكَنْ تعبتُ .. تعبتُ ..   أصبتُ – وحقكِ – بالخَطَلِ
بعينيك سحرٌ يشدّ وجودي   يقيِّدُ روحيَ على مَهَل .
دَعِينِي أوزعْ على شفتيك   أنَاشيد أحلى من الغزلِ
مَرَاكبُ شوقيَ أبحرتُهَا   بسحر عيونك يا أملي
ورحتُ أصوغُ إليكِ قَصِيداً   أرقّ وَأحلى مِنَ القُبَلِ
بِعَنَيْك ألفُ جَزيرةِ حُسْن   وَألْفٌ ... أَعُدّ بِلاَ مَلَل..
أثَرْنَ الهَوَى في دمِي نَبَضَاتٍ   تَرفّ ، وَوَجْداً على المُقَلِ
جَهَنَّمُ تَسْكنُ في ناهِدَيكِ   وإبْلِيس يَدْفَعُ كالأجَلِ
وَسِحْرٌ يُحَطمُ كلّ كياني   ويعصرنيِ كالقضا المُنْزَلِ

* * *

أحبك أُقسِمُ بالبسَمَاتِ ..   تَرفّ على ثغركِ الأعْسَلِ
أحبك أقسِمُ بِالشّهقَاتِ ..   تَمِيس على شعرك القسطلي
سَأكتبُ فوْقَ شِفَاهِكِ اِسْمِي   نَشِيداً أَخُطهُ بِالقبَلِ

(منزل تميم)

المثقف بين الدين والتاريخ

بقلم : فوزي هلال

– 2 – (*)

يقول كوبنستا نتيوف :

« ولكن الماركسية اللينينية قد حاربت دائما مثل هذا المسخ للمادية التاريخية واثبتت أنه ينبغى البحث عن منبع الافكار : الاجتماعية والسياسية والحقوقية والدينية ، فى الاقتصاد قبل كل شيء (1) » ٠٠

هذا يعنى أن الماركسية لا تتوقف عند هذا التفسير المجرد ولا تقتنع به لانه لا يخدم موضوعها العام – المادية التاريخية – بأى شكل من الاشكال – وعلى هذا الاساس رأى لينين وماركس انه لابد من معرفة الاسباب التى أنشأت الدين من خلال المذهب المادى للتاريخ وتحت ضوء الوضع الاقتصادى فى المجتمع ٠٠ بل يجب اختلاق هذا السبب الاصيل ٠٠ وقد وجده طبعا فى التركيب الطبقى للمجتمع وقد فسر ذلك بأن الاحساس العميق بالاضطهاد فى الطبقة المستغلة – البروليتاريا بمعناها الاقتصادى قد ولد فى نفوسهم الحاجة الى السلوى والعزاء عن ما هم فيه من عذاب واتجه تفكيرهم الى فكرة الدين ٠٠ وفى هذا يقول ماركس :

« ان البؤس الدينى ، لهو التعبير عن البؤس الواقعى ، والاحتجاج على هذا البؤس الواقعى فى وقت معا ٠ الدين زفرة الكائن المثقل بالالم ، وروح عالم لم تبق فيه روح وفكر عالم لم يبق فيه فكر ، انه أفيون الشعوب ، اذن فنقد الدين هو الخطوة الاولى ، لنقد هذا الوادى الغارق فى الدموع (2) » .

(*) انظر « الفكر » العدد 3 – س 29 – ديسمبر 1983 .

(1) دور الافكار التقدمية فى تطوير المجتمع ٠ ص 4 ٠

(2) كارل ماركس ص 16 – 17 ٠

« الدين أفيون الشعوب .. » هذا أهم ما يمكن اعتباره فى قول ماركس .. لم يكن يعنى الا الاشكال والطقوس والتعاليم المبتدعة فى الديانة الاوروبية التى انحرفت عن وجهتها الصحيحة والتى قامت بها هذه الجماعات التى تواطأت مع الملوك لاقتسام الاموال والسلطة أو حاربتهم فى مقابل ذلك وابتعدت بذلك كثيرا عن جوهر الدعوة الالهية فحسب ـ كما يزعم بعض أنصاره ـ انما كان يعنى ما يعنى وقوله واضح لانه لم يقتصر فى تحليله على الاوضاع الاوروبية وحدها بل أعطى تحليل بعض الفترات التاريخية الدينية الاخرى وأراد أن يربط مثلا بين ما يسميه ثورة محمد والعوامل الاقتصادية .. وهذا قوله :

« فى زمن محمد جرى تعديل كبير فى الطريق التجارى بين أوربا وآسيا ، وكانت المدن الدينية التجارية التى كان لها دور كبير فى التجارة مع الهند تعانى حالة من الانهيار التجارى » ..

وهكذا يتبين لنا أنه قال «الدين أفيون الشعوب» .. وقد فكر فى تاريخ الاديان وتاريخ العرب والعبرانيين وقد رأى أنه «يمكن اثبات وجود علاقة عامة منذ بداية التاريخ بين كافة القبائل فى الشرق (يعنى الشرق العربى) وبين استقرار الحياة فى جزء من القبائل وحياة البدو فى الجانب الآخر..» انه يريد اثبات ان الاسلام دعوة اقتصادية وفترة من فترات القوة فى وسائل الانتاج وعلاقات الانتاج .. فهل قام الاسلام على التناقض الطبقى ؟.. حتى وان اعتبرنا طبقية فى جزيرة العرب .. فالمسلمون رغم ذلك لم يكونوا ماديين أبدا فقد تجردوا للروح وللروح وحدها الا ما اضطرت الحاجة اليه وذلك لتثبيت الدعوة الالهية فى النفوس بعيدا عن الماديات الزائلة التى يقول الله فيها : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » وكل ما تشير اليه الدعوة الاقتصادية لتقوية جانبها المادى قد رفضه الاسلام الا ما لا بد منه .. « زين الناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث .. ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .. انه بات واضح ان ماركس لم يكن يعنى بقوله الكنيسة الكاثوليكية وحدها .. وانما هو يهاجم الدين بصفة عامة لاثبات وجود الطبقية التى يركز عليها المذهب المادى حتى ليؤكد «سدنى هوك» أحد كتاب الماركسية أنه «اذا تطرق الشك الى نظرية صراع الطبقات فبان فسادها فان صرح النظريات الماركسية ينهار من أساسه» .. والذى يؤكد ان الدين فى نظر الماركسية أفيون الشعوب قول انجلز الذى تحالف مع ماركس

على اعلان الحزب الشيوعى بقيادة العمال ضد الرأسماليين فى لندن دعوة الى الاشتراكية العلمية .. فقد قال :

«ان الاسفار اليهودية المقدسة لم تكن أكثر من تسجيل للتقاليد العربية القديمة» ثم يضيف : «يبدو أن العرب حيث استقروا فى الجنوب العربى كانوا متحضرين مثل المصريين والاشوريين كما تبرهن على ذلك تلك المبانى التى شيدوها ، وفيما يختص بدين محمد فانه استنادا الى النقوش القديمة فى الجنوب حيث كانت التقاليد العربية القديمة والقومية الموحدة ما تزال سائدة فان ثورة محمد الدينية كانت رد فعل وعودة للقديم والبسيط» ..

لقد وجد ماركس وأتباعه المناخ السياسى الملائم والفائر بالتطاحنات الاجتماعية فى صراع الطبقات والاتجاهات الفكرية المتعاكسة .. فقد رفضوا الدين من أساسه لجهلهم به .. ليس لان الدين الصحيح لم يكن يعرفه الا بعض المؤمنين فى الخلوات والاديرة وان بقية الشعب اتخذوا دينهم هواهم .. هذا ليس صحيحا .. وانما فى الدين دعوة روحية ولكن الماركسيين يتمردون على الحقيقة لتحقيق المذهب المادى للتاريخ على حساب الدين الذى استغلوا ظروفه القاهرة فى الاوضاع الاوربية السائدة وانحراف أهله عنه ليزيدوا الماء العكر تعكرا وينسفوا الدين لاظهار الواقع المأسوى المشهود الذى لا يشك الشعب والبروليتاريا فى وجوده .. وهو صراع الطبقات .. وكان الانجيل يناضل وحده بقيادة رجال اكلرسيين غير صادقين وغير اكفاء فى المعارك الفكرية والجدلية العنيفة التى اندلعت فى القرن الثامن والتاسع عشر بين المذهب العقلى والدين .. «بين رجال اللاهوت والكتاب المقدس فى جانب ورجال العلم والمختبر فى الجانب الآخر ..»

أما مسألة نشأة الدين ودوره فقد اعتمد لها الماركسيون اتجاهين متناقضين ان دلا على شىء فانما يدلان على ان الاوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية فى أوربا قد تأزمت وتعقدت الى أبعد الحدود وأن المعركة قد اشتدت بين البروتستانت والاشتراكيين .. مارتن لوثر وثورة الفلاحين الالمان ضد ظلم نبلاء الاقطاع .. الدولة والكهنة .. النقابات والعلماء .. كل هذا الصراع بين السلطة والثورة والدين قد أثر تأثيرا مباشرا فى فلسفة ماركس وخطوة أولى فى نقد نظرية المعرفة .. لقد كان تأسيس المادية الجدلية على شفا جرف هار متداعية بسبب التناقضات المتوفرة فى بنودها ولم يكن بناؤها متماسكا يشد بعضه بعضا ..

لقد اتفقت الماركسية على أن نشأة الدين كانت حصيلة التناقض الطبقي في المجتمع ٠٠ أما كيف كانت نشأته من خلال هذا التناقض فمختلف فيه وفيه نظريتان متناقضتان • فالنظرية الاولى ـ كما سبق ـ أن الدين نشأ بسبب التناقض الطبقي ولكن سطوة الرأسماليين وقسوة الاقطاعيين وتكالب البرجوازيين بعث في نفوس الطبقة الكادحة ـ الدهماء والعامة من الناس ـ الشعور العميق بالهزيمة والشقاء والبؤس والحرمان واليأس قد أوجدوا هذا الشكل الديني ـ أي الاتجاه الفكري البسيط على مستوى هذه الطبقة ـ علهم يجدون فيه السلوى والعزاء والغنى عما يكابدونه من اضطهاد لا حيلة لهم تجاهه سوى الصبر وضبابة الامل .. وهكذا يعتبر الدين ايديلوجية البائسين والمعذبين يستقون منه بعض ما يطلبون ٠٠ ولكن الواقع الذي لا جدال فيه يثبت عكس ذلك فقد سبق التفكير الديني ولادة الطبقية في مجتمعات الاستغلال وقد كان للبدائيين أشكال من الدين واضحة ولم تكن بينهم طبقية وقد اتفق مؤرخو الاديان على وجود عقيدة الاله الاعظم عند أشد الشعوب همجية ووثنية ٠٠ وقد بدأ الدين بالتوحيد ولم يبدأ في صورة الخرافة والوثنية وان الانسان أخذ يترقى في دينه على مدى الاجيال ـ كما يرى دوركايم وسبنسر وتيلور وفريزر وغيرهم .. حتى الماركسية نفسها فانها قد اعتبرت هذه المجتمعات البدائية كانت تعيش عيشة شيوعية لا طبقية فيها كمشاعية مزدك في فارس قبل الاسلام خالية من الصراع لوحدة أساسها المادي .. وهكذا لا يمكن تفسير نشأة الدين تفسيرا اقتصاديا أساسه الطبقية وقد علمنا تاريخيا وجود مجتمعات بشرية مشاعية وثبت وجود العقيدة الدينية عندهم كالاجناس الآرية القديمة والساميين قبل الاسلام والقبائل الهمجية في استراليا وامريكيا وافريقيا وجميع الشعوب البدائية٠٠ لقد سبقت ولادة الدين ولادة التفكير المادي وصراع الطبقات ٠٠

ولم يكن الدين عقيدة المضطهدين وايديولوجية البائسين وحدهم فقد تقبل دعوتهم غير المضطهدين وجاهدوا من أجلها بالمال والنفس بعيدا عن الظروف الاقتصادية وأدوات الانتاج وفي ساحة المبدا وحده ٠٠ ولو كان الدين ايديولوجية البائسين لما تقبله غيرهم ولما تمسكوا به اذا وجدوا فيه ما يتضارب مع مصالحهم ٠٠ لانهم في حاجة للدين فطرة وضرورة نفسية قبل كل شيء ولا علاقة لايمانهم بموضوع المادية التاريخية والمشاكل الاقتصادية ٠٠٠

أما النظرية الثانية المناقضة للاولى فتعتقد الماركسية فيها أن الدين حصيلة التناقض الطبقي ولكن هذه المرة قد ولد ونشأ بين يدي الطبقة الحاكمة أفيونا

وعلقما للكادحين والمضطهدين من البروليتاريا لاغناء روحهم بروح الفضيلة والقناعة والاخلاق المائزة لهم عن الاغنياء .. وهذه النظرية لا يكفى انها مناقضة لسابقتها بل وفيها نظر أيضا .. فالواقع يثبت عكس هذا القول لان الدعوة الدينية تقوم أول شيء على المساواة الاجتماعية واقامة مجتمع بالكفاية والعدل ، واذا كانت الطبقة الحاكمة قد ابتدعت الدين .. فهل كان من الاصلح لها أن تدعو الى المساواة والعدل ، أو أن تتنازل عن فضلها فى اهاب مضمخ بالشرف والاستقراطية والحسب والنسب وتهوى الى مصاف الكادحين ؟ واذا كانت الطبقة الحاكمة هى التى أوجدت الدين لمهادنة المستغلين .. فهل كان من الاصلح لها أن تدعو الى الغاء الرأسمالى الربوى والمعاملات اللاشرعية وفرض الصدقات ومساعدة الضعفاء ؟ .

ومن جهة ثانية .. ان دعاة الدين وحملته أغلبهم فقراء لا يملكون سوى جذوة الانسان بمبادئهم وبعقيدتهم الدينية .. وبعض الانبياء والصالحين مدقعين لا يملكون شروى نقير .. ولكنهم استطاعوا بحكمة وتبصر ووحى من الله دعوة الاقوياء وارضاخهم للرسالة الالهية الحق وقد انطلقت دعوة الاسلام بمكة مثلا على كاهل الفقراء العبيد الا قليلا من الموسرين .. فهل تنادى بهذا طبقة حاكمة ؟.

والذى تؤكد باستدلالاته الماركسية على تأييد نظرية نشأة الدين للهدف المادى وحده والعيش لأجل المصالح الاقتصادية .. أن الدين يرتقى ويتطور بتطور هذه الظروف ــ أى أن تطور الدين مرتبط ارتباطا كاملا بقوى الانتاج وعلاقات الانتاج .. وان التخلف البشرى كان متميزا بتعدد الديانات لتخلف الظروف الاقتصادية الملائمة .. ولكن تطور قوى الانتاج حتم التوسع الجغرافى وحد من كثرة الاديان والآلهة لتلتقى باذن الاقتصاد فى صعيد واحد وتحت لواء اقتصادى واحد ودين موحد .. وقد عوضت المسيحية مثلا هذه القوميات الكثيرة فى ظل الامبراطورية الرومانية وانصهرت الآلهة القومية فى اله واحد وبدأت الحركة اقطاعية قبل ولادة البورجوازية الكاثوليكية المنازعة وظهور البروتسانت .. وبذلك تسقط احدى مزاعم الماركسية لان المسيحية او الدين لم ينشأ فى مقررات الحكومة الرومانية وانما نشأ عن شعوب مختلفة اساسها المادى واحد وقد كان بعضها يعيش عيشة مشاعية لا طبقية فيها ولا امتياز بين أفرادها وفى هذا نقض لموضوع المذهب المادى للتاريخ .. ونفس التعليق لو أننا أخضعنا الدين الاسلامى للتطور الاقتصادى فى تاريخ الاديان .. فقد

كان العرب متفرقين ولكل قبيلة الهها ولم يوجد فيها من الوعى ما يمكن اعتباره موضوعا لتطورها ورقيها الى قبيلة واحدة وشعب واحد ودين موحد وليس لها ما يؤهلها لهذا التوحد على الاطلاق ٠٠ والطبيعة مشاعة لهم جميعا حسب الاقاليم والحدود القبلية والاله الذى يصنع بالجهة .. لم يكن للعرب أى نظام أو علاقات انتاج او سياسة منظمة ٠٠ لقد كانوا جاهليين قد قبح الله جهلهم ٠٠ فهل لهؤلاء أن يلتقوا على دين واحد واله واحد الاله الحق فى عقد واحد من السنوات وينظموا الامبراطورية الاسلامية ؟٠ ان ظروف الدين الاسلامى تناهض موضوعية المادية التاريخية فى زعمها تطور الاديان بتطور الاقتصاد وقوى الانتاج ٠٠

لا شك ان الدين هو غاية هذا الوجود والله انما خلق الكائنات للعبادة وحدها وخلق الانسان للخلافة فى الارض بما قنن وسن له من قوانين الخلافة وسخر له السماء والارض ليحقق قاعدة الاستخلاف ويؤمن حياته فى ظل العبادة التى يستشعر فيها حرارة الوصال ولذة الايمان بين يدى الذى أحاط بكل شىء علما ٠٠ بين يدى الكمال الحقيقى المطلق ــ بين يدى من كل شىء عنده بقدر ٠٠ «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ٠٠ ما أريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق والقوة المتين » .. فالدين نظام اجتماعى يجمع البشر فى طريق واحد ويحملهم على عبادة الله ولا تتحقق العبادة فيه الا فى خطين : السلوك المادى الذى تحدد قوانينه بالتعبد من خلال المعاملات اليومية وما تطالعنا فى معالمها من آيات وفى كل شىء له آية انه هو الواحد» فهو نمط سلوكى اخلاقى فى شكله الدينى .. وطريق الروح وهو الخط الثانى والروح هى الجزء الثانى الملازم للنفس الانسانية والذى لا نستطيع انكاره ويجب أن نحسن الملاءمة بين الخط الاول وهو السلوك المادى والخط الثانى وهو الغنى الروحى فى النفس الانسانية ولا بد لهذه الملاءمة من دين يتوفر فيه الخطان : السلوك المادى والروحية ..

يقول وليم جيمس : « الدين هو الاعتقاد بعالم منظور وإن خيرنا الاسمى كائن فى ايجاد الملاءمة الناجحة بيننا وبين ذلك العالم (1) »٠٠

يقول كانط : «الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أمور الاهية (2) ..

---

(1) محمود زيدان (وليم جيمس) 154 ٠
(2) عن محمد عبد الله درار ــ الدين ص 34 ٠

يقول اميل دور كايم : «انه مؤسسة اجتماعية قوامها التفريق بين المقدس وغير المقدس ولها جانبان : احداهما روحي مؤلف من العقائد والمشاعر الوجدانية والآخر مادى مؤلف من الطقوس والعادات (3) .

هذا هو الدين ..

وأما التاريخ فدائرة الوقائع والحادثات ومسرح حياة الانسان بكل مقومات الوجود فيها .. وأى تسلسل طبيعي لعامل من العوامل الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية او الدينية او العلمية يمكن اعتباره منعرجا فى نظام سير الوقائع التاريخية .. فالدين مثلا هو عامل من العوامل وما الرسالات السماوية الا فترات انعكاس للواقع البشرى المأسوى .. ولو اننا اعتمدنا مبدأ العلية فى معرفة الاسباب المؤثرة فى سير الوقائع التاريخية لاتصلت الاسباب ببعضها اتصالا طبيعيا وتعسر تفريقها وقد اعتمدت الماركسية فى نظرية المعرفة مثلا قانون الديالكتيك لاظهار الاقتصاد على العوامل كلها بطريقة التفريق بين الصراع الجذرى للاضداد وبين قوى الانتاج التى احتلت صدارة الموقف الماركسى .. وبهذا الموقف تبين تذبذبها بين المبدا والنتيجة .. بين التناقضات وبين البداية والنهاية .. لقد اتخذت الماركسية الاتجاه الديالكتيكى شكلا ـ أى منهجية لدراسة كل المناحى الحياتية ـ ولكنها انتهت الى نتائج غير ديالكتيكية بالرغم من انها اتخذته شعارا لمبادئها .. لماذا ؟. لانها تعتبر بقية ميادين الحياة انما هى اشكال فوقية فى صرح الاقتصاد ونابعة من مورده وهذا عكس قانون الديالكتيك .. فالاطار العام للبحث العلمى الماركسى من خلال المادية التاريخية : المعارف والاجتماع وعلاقتهما بالاقتصاد ولا مكان للحياة الدينية فى هذا الاطار ..

لايمكن ان يكون الدين الا فصلا من فصول الحياة التاريخية الانسانية .. ولا يمكن ان يكون الا اهمها باعتبار دوره فى حركات الاصلاح الفكرى والعلمى وصبغته الاجتماعية .. فهو الاقدر على توجيه الغرائز الانسانية وجهتها الصحيحة .. وهو أرقى ميول النفس وأنبل عواطفها المستمدة من الاخلاق الدينية «أخلاق التقوى» الايجابية والتى يتنزل كل الناس فى درجتها منزلة واحدة وتكون هذه الدرجة هى المستوى الاجتماعى للمعاملات .. بينما الاخلاق المادية «اخلاق سعادة» فردية موجهة وجهة اقتصادية فى سلم البنية التاريخية التى تحمل فى ذاتها القوى التى تقضى عليها بمختلف اشكال الانتاج ..

فوزى هلال

---

(3) جميل صليبا ـ المعجم الفلسفى 573/1 .

في مولد التوحُّد

شعر: عبد الله البلطي

عايشتك يا « الشيماء » ..
زمن الفتنِ .
وتقاسمنا كل المحنِ ،
وشرود البال ،
حتى الرمق الداني ،
من أوصال الرغبه .
كي نُترع ها الليله ..
بمراسمِ عرسٍ للنورس ..
وقطوف من زنبق ..
ورفاء غصون .
وتجسَّدنا خلف البرق ..
بخفايانا ..
بخطايانا ..
نتبرَّجُ بالقسطل .
ونهللُ باسم الربّ .. وباسم الفجر جنينا .
عفناً كان الوجه الآتي ..
أعشى كان ..
شجنًا كان ..
زبدًا كان ..
وتراجع صوتي ، آه يا صوتي !

أقلع عن هذا الهذرِ ..
وتعالَ لكي نتبرَّجَ بالميسمْ ..
فهنا لا نعلم من أين الترحالُ إلى خلجان العرس .
وهُنا لا نعلم ما القسطلْ .
وتجسدنا خلف الميسمْ ..
كان الميسمُ ..
بيتَ الشعراء ، وكنا نرسمُ فاتحة بمرايانا .
لنبشّر أن النورس سوف يطير ..
ونراقص أسماك القرشِ ..
نراهن باسم البحرِ ..
بأن القرش تبرأ من سفك النور .
سكن الصوتُ ..
توقفنا بمراقصنا ..
وتمددنا بزياتين الدرب الممتد إلى خلجان العرسْ .
وتجسَّدْنا ملْء العشق سفينا .
رشق الموج المُوجِعْ ..
بشظاياهْ .
كذبَ البحرْ ..
بنواياه .
غدَرَ القرشْ .
بنوارسنا ..
وتراجع صوتي ، آه يا صوتي ! ...
فإلى أين الترحال ؟أيا « الشيماء » وهذا عصر الغدر !

عبد الله البلطي

صفحات الاخضرار من جواز الصحو

ابداع : جمال الدين حشاد

مع فيضان التلاشى
انغمس فى ذاكرة التوجع
أزرع الرفض الربيعى
خبزا رمادى اللون ...
وحين يستوى
الشرق والغرب
فى دائرة
الامم المتحده ...
ازهر فوق
جبين الاخضرار ...
وعلى منصة الخصب
أوزع الأحلام
فى كل درب ...
فتستقبلنى الجوارى
مكتومة المرايا
بين ليالى الانتظار ...

* * *

آن لى
أن اعض جمرة الصحو
فالقوافل الحبلى
بالقمح ...
بالفرح ...
آتية ...
فى الموعد ...
تحضن وجهى المنبوذ
فى دوامة البوح ...

* * *

خذينى ...
بين أزاهير الشعر ...
فكل الاعشاب

ترثي قلق العصافير

وكل السيوف تتــلاشى

على حصباء شط الجدب ...

تحلم بالسنابل البعيده ...

خـذيني ...

حتى ألد القصيده ...

* * *

وها أنا ...

سأوقظ الشهوة في

نواظر الارض

بانتظار امرأة تبحث عني

بين أسوار التمني ...

* * *

....

... سترجع الآن

برتقالة الحلم ...

من مدن الوهم

تطل من دمي

وفي دمي

تغيب في

دائرة الشمس

....

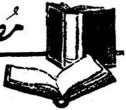
وتعـود ...

قصائد العرس ...

جمال الدين حشاد

مجموعـات ابداعيـة صـدرت بتـونس

رعشـة حلم	نعيمة الصيـد
الحفر في ارض صخرية	نور الدين عزيزه
الارض عطش	سوف عبيـد
البحر في كـأس	محمد أحمد القابسي
« ماريا » الميتـة	محمد رضا الكافي



مطالعات

قراءة في « ياحادي الطلق »

بقلم : محمد المهدي بن نصيب

1 ـ مقدمة :

بعيدا عن العاصمة ... وفي توزر مدينة الشابي يعيش محمد لامين الشريف شاعرا يناجي عروس فنه وتناجيه . فتوحى له بشعور مرهف ، وتفجر فيه انفعالات وذبذبات ما تنفك أن تتحول الى دفق هادر من الاحرف ... ونبع فياض من الشعر .. قوامه مكابدة صادقة .. وارهاص فعلي ومنطلق أصيل ...

إن قارىء « **يا حادى الطلق** » (*) سرعان ما يكتشف هذه الانطلاقة الفنية الواعية ، وهذا الاعتماد على تفعيلات الشعر الحر ، وهذا الشحن العاطفى المتناسق ... وهذه الصور الشعرية الخلابة ـ رغم سقوط الشاعر فى الخطابية والمباشرية فى بعض المواطن ـ ... والقارىء سرعان ما يكتشف ـ أيضا ـ ان محمد الامين الشريف متخلص من تهويمات ذاته ، ناذر قصائده الى الوطن ...

(*) مجموعة : « **يا حادى الطلق** » صادرة عن « الأخلاء » عدد 20 ـ س 4 ـ مارس 1982 للشاعر المهندس الشاب : محمد الأمين الشريف .

الى الممنوعين من الفرح ... وسنحاول هنا محاورة هذه المجموعة من القصائد لاستكناه مضامينها :

2 ـ محمد الامين الشريف والمرأة :

« المرأة عند أكثر شعرائنا هي الخفير الذي ينجدهم دائما فنادرا ما نجد أنثى حقيقية داخل القصيدة يمكن أن تضيف شيئا من خلال صراعها مع ذات الشاعر أو مع الطبيعة ، ان المرأة غالبا ما نجدها مزدوجة ، وغير متفردة ، تجدها غالبا : المرأة ـ الوطن / المرأة ـ المدينة / المرأة ـ المبدأ / المرأة ـ كل شيء . الا أن تكون الانثى بمعنى المتفرد والذي يتحدث عن المرأة كتكوين انساني خالص » (1) .

ومحمد الامين الشريف واحد من هؤلاء الشعراء الكثيرين الذين يركبون هذا الحصان البشري المجنح « المرأة ـ الرمز » ليعبروا به مفاوز رميلة كثيفة، ويعبروا من خلاله على هموم وآمالهم وآلامهم .

ان هؤلاء الشعراء يكتبون غزلا حديثا تلتقي فيه « الذات » « بالموضوع » ، جاء نتيجة حتمية لاشكالية تطور الشعر العربي الحديث ـ لا سيما الحر منه :

راحلتي مرهقة
ومراحل حبك مضنية
وعناقك يبدو سلفا معضلة
وأنا الهيمان اللاهث في بيدائك
ومفاوزك
المتقطع بين قبائلك وعروشك (ص 7)

* * *

(...) رفقا يا مولاتي
لا تنزعجي رحماك فاني
ساحاود طلق الشعب مع الطلع الآتي
سانادي : بجلاء الآه... الآه... الآه.

فانا من يبذر في أفئدة القوم: الله (2)
(ص 12)
(...) أنت مسهدة أنت
وحولك تأتلق الزفرات الحبلى
وتضوع الآهات النشوى
يتقد الوعي الواعد بالطلع

* * *

تتكسر عبر مراياك
احقاد المنع (ص 27)

* * *

(...) واطالعك أيا صبري

---

(1) **الشعر الصوت والظاهر** : مقال لعبد الحسين صنكور ـ مجلة «الاقلام» ـ ع 6 ـ س 12 ـ آذار 1977 ـ ص 29 .

(2) الله : رمز للحب / العدل / الحق / الحرية الخ ...

وطنا تلهو فيه الصبية زاهية
ينمو فيه الزيتون الحالم
يعشوشب فيه العدل
وترفـع فيـه آلهـة الحـب بيارقهـا الزرقـاء (ص 31)

* * *

(...) وأطلع سيدتى.. روحا أخضر
تحمل دفءا وقطافا
يحمل أزهارا وشموعا

يحمل أفراحا
للفقراء المفتونين
المسكونين بواحات شعرية
للماخوذين بداء الوحدة مثلى (ص 30)

* * *

وبغت أيا (للا) توزر
بيديك الغامرتين عواطف ... عطفا
توقظنى/تمسكنى/توقفنى (ص 41)

من خلال هذه النماذج المختارة من عدة قصائد ـ التى تعمدنا ان لا يتخللها التعليق ـ نلاحظ مدى حضور الوجوه المتعددة « للمرأة » فهى تارة : وطن .. وهى أخرى قضية .. وهى تارة ثالثة مـدينة .. الا ان المـرأة الانثى الحقيقية غائبة .. لكن هل غابت الانثى « بمعناها المتفرد » والذى يتحدث عن المـرأة « كتكوين انسانى خالص » من كل القصائد التى احتوتها مجموعة « يا حادى الطلـق » ؟!

لعل محمد الامين الشريف ـ كشاعر حقيقى ـ وعلى ان « كثيرا من الشعراء العرب ـ والعالميين ـ استطاعوا ان يعطوا المرأة معناها المزدوج وكونها تشكل معادلا فنيا للاشياء التى يريدون التعبير عن سخطهم أو حبهم لها ، ولكنهم لم يحققوا ذلك بصورة جيدة وبهذا العمق والقدرة الكبيرة على الايحاء الا بعد أن أعطوا للمرأة معناها كانثى حقيقيه يمكن أن تدخل القصيد وتحضـر فيهـا حضورا غنيا ومبدعا وتخرج منها ـ وهى الانثى أيضا ـ كواقع انسانى ذى خصوصية محكومة بالواقع العام وظروفه الموضوعية » (3) ووفقا لهذا الوعى «اعترف» شاعرنا لصديقته «ماريا الاسبانية» ـ الانثى الحقيقية هذه المرة ـ :

لم يك أن أهدم طينة انسانى فيك
لكن آنستى
ان ارجم كبت الوحش الضارى فيَّهْ
أحببت بخرق حدودك

أن أكشف عن طعم الحريه
أن اسبر فيك الاغوار التاريخيه
وانقب فى روحك عن روحى العربية
(ص 24)

(3) المرجع السابق رقم (1) .

ووفقا لهذا الوعى ـ أيضا ـ كانت المناضلة الفلسطينية الشابة الشهيدة « دلال مغربى » فى شعر الامين الشريف تمتزج فيها عدة وجوه للمرأة ، فهى أنثى حقيقية ، وهى وطن ، وهى قضية ...

كتب « لدلال المغربى » ملحمة الخلود فى ثوب فنى بديع :

هذا مارس اخت الدرب
هذى القدس ازدانت
بالورشات مآذنها
والكرمل ماجت بتلاله
قطعان السوسن والعنبر والحنون
وماد « بعيبال » الصفصاف
وفى غـزة ، فى نـابلس ، تـراقص جـذلان
شجـر الليمون
وفى يافا .. فى حيفا
جاد سنونو الحب بملحمة غناء طروب
الكل هنا بفلسطين ربيع
لكن .. وآسفى!
ليس لزنبقة الحرية الحمـراء وجـود
(ص 49)

3 ـ محمد الامين الشريف ... بين القضية والابداع (4) :

... وما دام الشعر ارهاصا ذاتيا ، وخلجات عاطفية ، وكل شاعر وطريقته فى ترجمة حالاته الشعورية فهذا يترجم هذه الحالات « خاما » فتقى الاحرف أسيرة حالة عاطفية ذاتية نزقة ، ويكون العمل الشعرى ـ تبعا لذلك ـ « فنا خالصا » ـ ان جاز الوصف ـ وذاك يكرر هذه الحالات فتتحـاور مع ذاتـه ومع « الاشياء الخارجية » فتجيء الجمـل الشعـرية مزيجـا من ذات الشاعـر والاشياء التى يريد التعبير عنها ، فيكون الابداع الشعرى ـ تبعـا لـذلك ـ احساسا جماعيا ينطلق من ذات الشاعر ليشترك بشعور الآخرين ... وما دام الشعر كذلك ، فان قارىء « يـا حـادى الطلـق » ملزم على تصنيف الاميـن الشريف مع هذا الصنف الاخير من الشعراء :

لماذا إلاهى
تفضل بعض عبادك فى الطبقيه
ألسنا سواسى فى الدفع / فى الحمل
فى الطلق ...

---

(4) انظر دراستينا : « عن الواقع والواقعية واشكـالية المسـألة الجمـالية فى الشعر العربى الحديث » ـ جريدة الوحدة 1982/9/11 ، و « الادب الواقعى فى تونس » جريدة الوحدة 1982/9/25 .

فى الانبعاث (ص 18)

* * *

حذار من فيض الجياع اذا نطق
حذار من تدفق العرق (ص 25)

* * *

وأطالعك ... سيد الكل فراتا
يزحف ... يزحف ... من صنعاء الى البيضاء
لكى يغسل حزن الاطفال الجوعى
(ص 31)

* * *

يا حادى الطلق
الارض الحبلى اضجرها الوجع
أعجفها السيل الهادر من أغوار الجرح
والطلع العشتارى الموعود
توعك فى الرحم الهمجى الموبوء
توهج حقدا ، غضبا ، ألما (ص 60)

* * *

لم أطرح شيئا كبديل لسباقى
ان دما « لوممبا » ما زالت تشحن افكارى (ص 76)

* * *

كم أبذر فى أخيلتى من أحلام !
كى أرسم للجوعى
للعزل من آفاق ... آفاق ... آفاق
(ص 80)

يلاحظ الشاعر من خلال هذه النماذج كم تلتحم ذات الشاعر بهموم الآخرين ! وكم تحتوى قصائده التى تغنى للحب والحرية ، الصادحة بهموم الانسان ، الوطنية حتى النخاع ، العربية الصادقة فى عروبتها على هذه التباشير الواعدة ! الا أن الشاعر قد يلجأ فى بعض المواطن الى الخطاب المباشر ـ وهو لعمرى مضر بالنص الشعرى ـ متأثرا فى ذلك ببعض الشعراء الدين يؤثرون ابراز الفكرة على الصياغة الفنية متناسين ان الشعر فن ولا يمكن اعتباره كذلك الا اذا توفرت فيه أبجديات الصناعة الفنية ، وهاك عينات من هذا الخطاب الذى نرجو من الشاعر تلافيه ـ مستقبلا ـ :

آلهة العصر الممزق المأفون
ما فتئوا يهندسون
مستقبل الشعوب
فهم يخيطون ونحن نلبس (ص 57)

* * *

بكرمنك اللاهوتيه
قد تلجم غربان النحس
التنطق باسم الشعب
فى أروقة التحنيط
(...) فى المنتظمات الدوليه
من منطلقات السلفية .. والرجعية ..
والضعف (ص 63)

محمد المهدي بن نصيب

قراءات سريعة

• الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي :

صدر في سلسلة « عالم المعرفة » التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت كتاب في « الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي » للدكتور عبد المالك خلف التميمي – يقع في 360 صفحة من القطع المتوسط بتاريخ نوفمبر 1983 .

والكتاب دراسة في ثلاثة أنواع من الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي : اثنان منه وقعا بالقوة والرسائل الحربية ثم الزجرية وهما الاستيطان الفرنسي بالمغرب العربي وقد انقضى – والحمد لله – بفضل مقاومة ونضال ونيقظ الشعب المغربي (بتونس والجزائر والمغرب الاقصى) والاستيطان الاسرائيلي الصهيوني الذي لا يزال يمتد ويتوسع في فلسطين والبلاد العربية المجاورة لها . أما الاستيطان الثالث الآسيوي في منطقة الخليج العربي فهو سلمي وتنموي .

لكن الاستيطان الاجنبي مهما كان نوعه يجب أن يواجهه العرب مواجهة جدية باعتباره أخطر أنواع الاستعمار لما له من جليل الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحتى الثقافية والحضارية على وضع وهوية الوطن العربي .

ومن أكبر ميزات هذه الدراسة المقارنة أنها تبرز علامة الخطر الحمراء في طريق العرب لئلا تتقص الخريطة العربية أكثر ويتشرد الشعب العربي أكثر وحتى لا تكون هناك معوقات أكثر تمنع الشعب العربي من تحقيق أهدافه في الحرية والديمقراطية والوحدة والبناء والتشييد من أجل حضارة عربية أفضل.

• أية تربية علمية ولأي مجتمع :

صدر عن ادارة التربية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتاريخ1983 كتاب بعنوان « أية تربية علمية ولأي مجتمع » تأليف جماعة أساتذة التربية وترجمة الاستاذ مصطفى الزواري والدكتور العروسي المنقعي ومراجعة الدكتور حنفي بن عيسى .

وانطلاقا من دراسة نقدية للتعليم الحالى الذى تراكم عليه غبار السنين فأدركه الكثير من التحجر والجمود يحاول الكتاب توضيح المسائل الغامضة قصد اقتراح نموذج تربوى لا يستند على الحقائق المسلم بها فقط بل يعتمد جملة من الفرضيات المدعمة بالممارسة .

ويتناول الكتاب جل المسائل المثارة فى شتى مراحل التعليم العلمى بايجابياته وسلبياته مقاصدها وأوضاعها مضامينها وهياكلها مع كل التساؤلات التى تنشاعنها ومحاولة الاجابة عنها وتصور الحل الذى يفضى الى الثقافة الحية التى تنجم عن مجهود مشترك فى الخلق والابداع بفضل السيطرة على استعمال الادوات وتطبيق المنهجيات والتحكم فى الطريقة التجريبية التى تمكن من التلاؤم مع الوضع المتغير باتخاذ التعديلات الضرورية المسايرة لمسيرة التقدم العلمى والتفتح الاجتماعى .

• الأخلاء تنشر « الصعب » :

الصعب مجموعة قصصية للكاتبة العصامية شريفة عرباوى تمنحها « الأخلاء » (عدد 35) فرصة الانفتاح وتبليغ الصوت الى جمهورة القراء .

أهم قصص المجموعة « رحلة صراع » التى يمكن أن نعتبرها رواية وهى ــ على ما فهمت ــ قصة شريفة عرباوى نفسها فى صراعها الحياتى مع العادات والتقاليد والاوهام والتعنت والتزمت والرجعية الفكرية والضغوط الاجتماعية و ... و ... و ...

ورؤية شريفة عرباوى لهذا الصراع دائما واضحة عميقة واعية فهى تعترف بأن مصائب المرأة واحتقار الرجل لها وامتهانه راجعة الى المرأة نفسها والى رضاها هى بكل ذلك وشريفة عرباوى شاعرة حق الشعور ومتيقنة صحيح اليقين بأن « الانسان لا يمنح الحرية والكرامة بقانون يمكن أن يلغى يوما ما ... الحرية طلب يولد فى النفس بسبب الحاجة ثم يغذى العقل هذا الطلب ويعززه الايمان ثم يدفعه من الداخل الارادة قويا فيتوزع على السلوك ثورة تهدد كل من لا يستجيب لها ... » .

وأخيرا ... أخيرا فقط عندما يشرف بها اليأس على الانتحار تسترد ــ بمناسبة طفيفة تافهة حقا هى خوفها من القيل والتاويل ــ تسترد ارادتها وقوة عقلها فتأبى الانسحاب من الميدان ضعيفة مغلوبة حاملة ذنبا كبيرا وجريمة سوداء الى العالم الآخر فيأخذ « أمل يعمر صدرها ويزرع فيه من جديد بذرة الحب للحياة وفجأة يتحول ذلك الامل الى يقين وثقة بالله وحده وبأنه ولا أحد سواه يقدر على وضع بداية ونهاية كل كائن حى » .

أما الاربع قصص القصيرة الاخرى المتمة للمجموعة فتحمل نفس الطاقة من الشعور والتصوير ونفس الحيرة ونفس الصراع مع النفس أولا ثم واحيانا مع القدر نفسه وفي صدرها دائما شحنة عجيبة تكاد تفجره تفجيرا باحثة عن الانطلاق عن الانعتاق عن الاستقرار .

• القاموس المدرسي :

صدر بتاريخ 1983 عن الشركة التونسية للتوزيع « القاموس المدرسي » تأليف الجيلاني بن الحاج يحيى وبلحسن البليش وعلي بن هادية وهو تبسيط واختصار « للقاموس الجديد للطلاب » مسايرة لارصيد اللغوى الوظيفى الذى أقره وزراء التربية فى المغرب العربى واعتبروه أساسيا واعتمادا على خبرة الباحثين وتجربة المدرسين التربوية .

وسيكون هذا القاموس المدرسى أداة مفيدة جدا للتلاميذ يجدون فيه فى غير عسر ما يحتاجونه من عون فى توضيح ما أشكل عليهم مما يعترضهم فى دروس العربية وغير العربية من الفنون مع توفير الوقت والجهد لما توخاه كسالفه من منهج التصنيف يراعى حروف الكلمة كما ترد فى الاستعمال متفاديا بذلك ما كانت تقتضيه مبادىء الاشتقاق وقواعد الصرف فى سائر المعاجم التقليدية .

وجمال الخط ووضوح الحروف ومبسط التعاريف يجعل من هذا القاموس أداة فى متناول أحدث المتعلمين سنا .

• القاموس العربى الروسى :

صدر عن معهد الاستشراق لأكاديمية العلوم السوفياتية بموسكو قاموس مدرسى عربى روسى قام بانجازه المستشرق الروسى الصديق غريغورى شرباتوف وراجعه محمد المعصرانى وقامت بنشره دار الانسيكلوبيديا السوفياتية للنشر .

ويتضمن القاموس 9800 كلمة من أكثر الكلمات استعمالا فى اللغة العربية الفصحى التى تقابلها المفردات الروسية الاكثر استعمالا أيضا فى اللغة الروسية والقاموس موضوع خاصة للعرب الذين يدرسون اللغة الروسية سواء أكان ذلك مع مدرس أو فى معهد أم بمفردهم وهدفه الاساسى تعليم العرب اللغة الروسية وقد تزايد عدد الراغبين منهم فى تعلمها والاطلاع على شؤون الحياة والثقافة السوفياتية وزيادة تملكهم منها كتابة وخطابا .

والقاموس بعد مقدمة فى كيفية استعماله يحتوى على أكثر من 930 صفحة يتبعها ملحق مدرسى ضاف شامل فى 130 صفحة فى مميزات القراءة الروسية وكتابتها وقواعد صرفها واستعمال الحروف فيها مع جداول عديدة واضحة

بينة لتسهيل التمكن من اللغة الروسية الصحيحة والقدرة على استعمالها استعمالا سليما .

ولا أبرز لقيمة القاموس العربي الروسي وكفاءة صاحبه من التذكير بان الدكتور شرباتوف عضو معهد الدراسات الشرقية بأكاديمية العلوم السوفياتية قد شرفته تونس بعضوية المجلس العلمي للمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات .

• عندما يأتي الربيع :

هي مجموعة قصصية للمستشار فوزي عبد القادر الميلادي يتكون منها العدد 212 (بتاريخ افريل 1983) لسلسلة « كتاب اليوم » الصادرة بالقاهرة عن ادارة « أخبار اليوم » .

وتحتوي المجموعة على 16 قصة قصيرة تستمد مادتها وأشخاصها وحوادثها ومواقفها من صميم المجتمع المصري المدني منه خاصة بعقده وزائف مظاهره ومآسيه وأليم واقعه .

والاستاذ الميلادي المولود بالاسكندرية من أصل تونسي ينتسب جده الى مدينة صفاقس عاصمة الجنوب التونسي وله مؤلفات عديدة أهمها في ميدان القصة منها على سبيل المثال لا الحصر : بنت العم ــ الزوجة الاخيرة ــ قصة أختين ــ ليلة العودة ...

• مدينة قليبية :

صدر عن اللجنة الثقافية المحلية بقليبية بتاريخ 1983 كتاب بعنوان « صفحات من تاريخ مدينة قليبية » من تأليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف .

والكتاب شامل في إيجازه عن كل ما يهم مدينة قليبية تاريخا وجغرافيا وعمرانا وسكانا وحضارة ونظام حكم وادارة وحياة ثقافية ودينية وسياسية ولم يهمل الكاتب حتى المدن والقرى العتيقة ككركوان وتاهرت والاسلامية كالمنصورة والقصيبة التي اضمحلت بضواحي قليبية .

كما يورد لنا الكاتب تراجم وأخبار أعلام مدينة قليبية من قضاة وضباط وأطباء وأدباء وشعراء ورجال علم وتدريس .

• المجلة العربية للعلوم :

صدر منها العدد الثاني بتاريخ سبتمبر 1983 وكان قد صدر العدد الاول منها في نوفمبر 1982 وخبرنا عنه في الفكر .

ومن المعلوم أن « المجلة العربية للعلوم » الصادرة عن ادارة العلوم للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تقوم بدور التعريف بقضايا العلم والتوعية

بمشكلاته والعمل على ايجاد الحلول البديلة لها فتنشأ بذلك عن طريقها صلات عملية بين العلماء والعاملين ـ فى حقل العلم والتوعية بمشكلاته والعمل على ايجاد الحول البديلة لها ـ وبين المؤسسات الشقيقات فى مجال العلم وتطبيقاته الفنية فى الوطن العربى خاصة وفى العالم عامة ويمتد ميدان مادتها الى معظم المجالات العلمية والتكنولوجية المتصلة بالتنمية والطاقة والبيئة والاعلاميات والتعريب والتعجيم لآثارها والتعريف بالانتاج والنشاط العلمى للافراد والمؤسسات القومية والوطنية والعالمية وللمنظمة (ندوات ـ دورات ـ اتفاقات ـ منشورات ... الخ ...)

وأتى هذا العدد الثانى فى تحسن بالنسبة للعدد الاول أخذا بالملاحظات والتعاليق والطموحات التى وردت عن العلماء والباحثين والمسؤولين

ومادة العدد غزيرة ومتنوعة تتناول حماية البيئة والتنمية والتراث العلمى والتعريف والمصطلحات العلمية وبحثا فى التحكم فى السلوك الديناميكى للمنشآت المرنة وتخليصا موجزا لأطروحة علمية فى علم الجنين التجريبى .

هذا مع ملف العدد وهو فى موضوع الساعة : الطاقة الجديدة والمتجددة ومع التعريف بالمؤسسات العلمية (وفى هذا العدد : الهيئة العلمية للبحث العلمى بالجماهيرية العربية الليبية) وبنشاط المنظمات العربية والعالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من اجتماعات ودورات وندوات وتظاهرات (معرض رسوم الاطفال العرب بجنيف 1983 بعد اقامته لاول مرة بروما 1978 ثم اقامته بباريس 1981) .

• البيبليوغرافيا :

صدر بتونس عن ادارة التوثيق والمعلومات لمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى غضون 1983 فى ميدان التوثيق كتابان هامان هما :

1. الدليل البيبليوغرافى للانتاج الفكرى العربى فى مجال المعلومات : للدكتور محمد فتحى عبد الهادى وهو الجزء الثانى من الدليل ويغطى الفترة ما بين 1976 و 1981 مع العلم أن الجزء الاول منه صدر فى تغطية الاعمال التى صدرت فى القرن العشرين حتى حوالى منتصف سنة 1976 بالاضافة الى بعض الدراسات القليلة التى ظهرت فى أواخر القرن الماضى .

ولا أحد يجهل الاهمية الكبرى لمجال المعلومات وللتعامل معها تجميعا واختزانا واسترجاعا وكيفية استغلالها بالاعتماد على الطرق الحديثة والوسائل التكنولوجية العصرية ولهذا تبدو خطورة قضايا المكتبات : تكوينها وتنظيمها وتجميع وثائقها وتسييرها والوضع المنهجى لفهارسها كل ذلك لتحقيق غاياتها وتيسير استعانة الباحثين والدارسين بمكنوناتها .

2. **النشرة العربية للمطبوعات 1981** : وتشتمل على المصنفات العربية بأقسامها الثلاثة : القسم الرئيسي والقسم الحكومي وقسم كتب الاطفال تتلوها اكتشافات للمؤلفين وللعناوين وللموضوعات وتشمل النشرة 2532 عنوانا عربيا .

كما تشتمل على المصنفات غير العربية بقسميها : قسم المنشورات العامة غير الرسمية وقسم المنشورات الحكومية وتشمل 386 عنوانا يتلوها فهرسان الاول للمؤلفين والثانى للعناوين .

وهذه النشرة من انتاج دار الكتب الوطنية بتونس باشراف الاستاذ حسين عزونة .

• الرحيل الى مدن الأحلام :

مجموعة شعرية للشاب عبد الحميد مواعده فى سلسلة « الأخلاء » (عدد 34) التى يشرف عليها **الشاعر الصادق شرف** والتى لا تفتأ تخصب أكثر فأكثر وتأخذ بأيدى الشباب فى رحلة الادب والشعر والفكر .

وهذه **المجموعة** باكورة انتاج عبد الحميد مواعده وهى نابضة بعشقه وشوقه لارض الجريد أرض منبته الساحرة الملهمة وكما يقول الدكتور علي الشابى فى تقديمه لها هي « إطلالة تعتبر كسبا شعريا فى فترة جف فيها معين الشعر فى تونس وانكفأت أصداؤه » .

• المضيفات والممرضات فى الشعر المعاصر :

صدر عن « دار ثقيف للنشر والتأليف بالطائف » الطبعة الثانية المنقحة لمحاضرة عن «المضيفات والممرضات في الشعر المعاصر» **للاخ الاديب عبد الرحمان** المعمر والتى ألقاها سنة 1977 فى احدى أمسيات نادى **الطائف الادبى** .

أما محتوى الكتاب فبعد أن يذكر المحاضر عناصر التشابه بين السفر بالطائرة ودخول المستشفى وبين المضيفات بالطائرات والممرضات بالمستشفيات يورد لنا جملة الاشعار اللطيفة فى مدح المضيفات والممرضات والتغزل بهن لشعراء مشهورين من الوطن العربى .

ويضيف الاخ معمر بعد التحايا والتقاريض بابا فى هجاء المضيفات والممرضات نشره الاستاذ عثمان الصالح فى جريدة « الجزيرة » ردا على ما أتى فى محاضرة الاخ عبد الرحمن معمر .

ومهما يكن من أمر فهذا النوع من الادب ليس غريبا عن الادب العربى الاصيل ونحن لفى أشد الحاجة الى بسمته فى هذا العصر الاقتم الذى نعيش حاضره المريع .

محسن بن حميده

أصداء الفكر

● **محمد مزالي في (رابطة الادب الحديث) بالقاهرة :**

افتتحت (رابطة الادب الحديث) بالقاهرة نشاطها الادبي لهذه السنة بندوة فكرية هامة حول : (فكر وأدب محمد مزالي) وقد دعت لهذا الغرض الكاتب التونسي المعروف رشيد الذوادي الذي ألقى بهذه المناسبة محاضرة مساء يوم 18 أكتوبر الفارط بمقر الرابطة الكائن بشارع بنك مصر رقم 6 بالقاهرة بعنوان : (قراءات في فكر وأدب محمد مزالي) .

وحلل الاديب رشيد الذوادي في محاضرته جملة من القضايا الفكرية التي واكبها رجالات الادب والفكر في تونس منذ انتصاب الحماية الفرنسية ، كما ألقى الضوء على عدد من أعلام الادب في تونس وعن مدارس الفكر التونسي واتجاهاته وتوجهاته .

وأبرز رشيد الذوادي في ندوته الفكرية سمات الفكر التونسي المعاصر من خلال المضمون والرؤية ، وعرج في هذا الشأن على اتجاهات هذا الفكر واشكالياته .

وتناول أيضا عددا هاما من رجالات الفكر التونسيين الذين صمدوا في وجه المستعمر وتحملوا هموم أمتهم كالشابي ، وسعيد أبي بكر ، ومصطفى خريف ، والطاهر الحداد ، ومحمد العروسي المطوي ، وأبو القاسم محمد كرو ، ومحمد مزالي ، والبشير بن سلامة ، ومصطفى الفارسي وغيرهم .

وإثر هذا المدخل التاريخي تناول الاديب رشيد الذوادي شخصية محمد مزالي الفكرية التي تتميز بوعي وطني أصيل وصادق وقال : إن مجلة (الفكر) التي صدرت في أكتوبر 1955 اضطلعت بدور ريادي في جمع النخبة وتنشيطها في مجالات الخلق والابداع .

وحلل فكر وأدب محمد مزالي الذي يرى أن الادب ملحمة وليس مأساة والفكر الخالد مناخه الحرية وأشار الى أن محمد مزالي الذي ألف عدة كتب يتميز بذهن متقد وعقل مفكر وهو جريء في كتاباته له صلة ما قد تكون

قوية بفكر أبى حامد الغزالى صاحب كتاب (المنقذ من الضلال) ، ودروب فكره ومواقفه هى شهادة تصور ومشاركة فى بناء الفكر العربى الجديد والناضج .

وأنهى محاضرته بخصائص فكر محمد مزالى وأدبه قائلا : « إن الكاتب محمد مزالى يمتلك شخصية قوية .. هو يعايش الناس ويحترق من أجل الضمير الاخلاقى وفكره يؤثر فيك لانه أحاسيس وتجارب معاشة ، وفيه ظواهر القدرة والمسؤولية ، والرؤى البناءة ، وما يشد الانسان الى الكفاح المتواصل ، وما يحفزه الى نشدان الحقيقة وتبيان الطريق .

وإثر هذا العرض الادبى والفكرى الهام جرت مناقشة فكرية شارك فيها الدكاترة : محمد عبد المنعم خفاجى رئيس رابطة الادب الحديث بالقاهرة ، وعبد العزيز شرف ، وكمال اسماعيل ، وأيضا المحاضر والاساتذة ، حسنى سيد لبيب القصاص المصرى ، وجمعة محمد جمعة ، ومحمد السيد ، والشاعرة حياة أبو النصر ، والقصاص رستم كيلانى تلميذ محمود تيمور ، وغيرهم . وتركز الحوار والنقاش حول اتجاهات الادب التونسى الحديث ودور مجلة (الفكر) فى صياغة فكر عربى جديد وناضج .

وعبر كل المناقشين عن أن فكر الكاتب التونسى محمد مزالى هو فكر طلائعى وزاخر بالقيم ويرنو الى تطوير المجتمع والنهوض بالانسان العربى .

وتولى الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى رئيس رابطة الادب الحديث بالقاهرة القاء كلمة الختام فشكر فيها المحاضر على بحثه وقال : إن هذه المحاضرة تعد حلقة من حلقات التواصل الفكرى المستمر بين الرابطة وبين أدباء تونس بداية من أبى القاسم الشابى ، وقال : (إن فكر محمد مزالى هو فكر مستنير وأن صاحب (الفكر) هو مناضل بحق جاهد فى الحقل السياسى وله نضالات فى الحقل الثقافى ، وما (الفكر) الا عينة من عينات هذا النضال المستمر والرصين .. وقال : إنه تقدير منا لاعمال صاحب مجلة (الفكر) رأينا أن نعد دراسة أدبية عنها ؛ اذ سنصدر فى هذه السنة كتابا عن : (الفكر) وعن مدرستها الادبية مثلما فعلنا مع كبريات مجلاتنا كـ (المقطم) ، و (الرسالة) ، و (الثقافة) .

وسيصدر هذا الكتاب بحول الله فى أكتوبر المقبل 1984 بمناسبة العيد الفضى الثلاثين لصدور مجلة (الفكر) التونسية وسيعد هذه الدراسة الدكتور عبد العزيز شرف أستاذ الادب الحديث بجامعة القاهرة .

وبعد ما سلم للاديب رشيد الذوادى شهادة (الزمالة الفكرية) وهى شهادة تمنح من طرف الرابطة على الدراسات الجيدة والمعمقة التى تلقى بمقر الرابطة ، جدد شكره للمحاضر وألح على أن يشرف الاستاذ محمد مزالى على افتتاح خمسينية الشابى التى ستنتظم بنقابة الصحافيين بالقاهرة فى أكتوبر القادم وأن يقع توزيع الكفاءات المالية والجوائز التقديرية من طرفه على الأدباء العرب الذين كتبوا عن أبى القاسم الشابى .

ومن المعلوم أن محاضرة الاديب رشيد الذوادى تولت تسجيلها اذاعة (صوت العرب) ، كما أن الناقد المصرى عبد الفتاح البارودى كتب عنها بجريدة (الاخبار) بتاريخ 25 أكتوبر 1983 .

وقام رشيد الذوادى من جهة أخرى بتسجيل حصة أدبية فى اذاعة القاهرة (البرنامج العام) تحدث فيها عن : (أطوار الادب التونسى واتجاهاته وعن دور مجلة (الفكر) فى الحياة الثقافية بتونس وجرى هذا الحوار مع السيدة (جولار عرفان) منتجة البرنامج .

ومن جهة أخرى أعلمنا الاديب رشيد الذوادى بأن الاديب المصرى المعروف حسنى سيد لبيب هو بصدد وضع كتاب عن الادب التونسى بعنوان : (أضواء عن الادب التونسى الحديث) وسيخصصه للحديث عن مجموعة من أدباء تونس.

● جائزة لوتوس :

لقد سرنا إحراز أخينا فى « الفكر » وفى « اتحاد الكتاب التونسيين » الاستاذ مصطفى الفارسي، الكاتب القصاص والمسرحى والشاعر أيضا على « جائزة لوتوس » للكتاب الافريقيين الآسيويين وهى جائزة تقديرية تسند على كافة الانتاج للمفكرين ورجال القلم الذين وقفوا أعمالهم وكتاباتهم على خدمة الانسان الضعيف المهضوم المنكود مهما كان سنه ولونه وجنسه ومعتقده وهويته سعيا وراء تحريره من كل أنواع الرق والاضطهاد وتحقيقا لحرية الانسان وكرامته والمساواة بين كل البشر .

وبهذه المناسبة التى نعتبرها مع الاعتراف بمنزلة مصطفى الفارسى الادبية والانسانية إكراما لكل الادباء والكتاب التونسين (« وفى بني عمك رماح ») نظمت دار بوسلامة للطباعة والنشر أمسية الجمعة 1983/11/25 حفل تكريم للاخ مصطفى الفارسى حضره جمع كبير من الادباء والمفكرين من تونسيين وضيوف أشقاء وأصدقاء فى جو مفعم بالانس والامتاع واللطف أبى فيه الاخ مصطفى عزوز الا أن تتفضل خفة روحه المعهودة بالقاء الابيات التالية :

قالوا ترى ..؟ من هو هذا الفارسى ؟

شع اسمه ونبوغه فى كل ساحة مجلس ..

أيكون من إيران .؟ لا يا صاح .! إنه تونسى .

لا تعجبوا من فوزه .. لا غرو .. فهو صفاقسى !

فاسعد « بلوتس » هانئا يا مصطفى .. يا فارسى .

واننا بتجديد التهنئة لصديقنا مصطفى الفارسى نعبر له عن تلطفنا للحادث الأليم الذى تعرض له وألزمه الفراش فى المستشفى ونتمنى له الشفاء العاجل ليواصل عمله الثقافي المثمر .

● **البعد الانسانى فى أدب الاستاذ محمد مزالى :**

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « الصباح » فى عددها الصادر فى 1983/12/5 بقلم محمد الهاشمى السنوسى مقالا جاء فيه ما يلى :

من الادباء والمفكرين من يدرك ذاته ويعي منزلته فى الامة التى ينتسب اليها منذ ان تتفتح قريحته على الحياة فيجد نفسه مشدودا الى أمته فى جميع ممارساته الفكرية نتيجة عوامل متعددة ولعل أهمها العامل الوطنى والانسانى بحكم انتمائه الى هذا المجتمع الذى لا بد ان يقاسمه مشاكل حياته ويسهم فى حلها ، وهى لعمرى مسؤولية كل أديب وكاتب متفاعل مع قضايا مجتمعه وطموحات أمته ذلك ان المفهوم الحضارى للثقافة يفرض على الاديب ان يخرج من برجه العاجى ليعالج مشاكل محيطه باعتبار ان النظرة التقليدية الى الادب كميدان للترف الفكرى قد ولت فى عصر اصبح فيه للفكر والقلم دور واى دور فى بناء الحضارة الانسانية .

هذه النظرة المعاصرة للادب ودور الاديب فى مجتمع طموح نجد اثارها فى أدبنا التونسى المعاصر خاصة منذ فجر الاستقلال ويحق لنا فى هذا الصدد ان نعتبر المفكر والاديب الاستاذ محمد مزالى احد رواد هذه الحركة الفكرية التى نحت هذا المنحى لانه اعتمد فى نضاله الفكرى الذى ضمنه اثاره المتعددة على امتداد سنوات على الانسان فى مجتمع ينشد التقدم الحضارى ومعتمدا التفتح على مختلف التيارات الثقافية ، مع الدعوة الملحة الى الاصالة دون انغلاق والاصالة تعنى عنده : « الى جانب التمسك بالجذور الحضارية التى ينتمى اليها الفرد والغيرة على المقومات التى يعتصم بها الانسان من غوائل الدهر فى محاولة الفكر الحى بتقييم النفس ومراجعتها باستمرار » .

وهنا لا بد ان نورد له هذه الفقرة من كتابه « مواقف » تبين بوضوح ايمانه بالانسان وثقته فيه فالكاتب الاصيل هو : « ان الكاتب الاصيل يتخذ دائما موقفا من دون مواربة وفى غير التواء لانه يؤمن بقدرة الارادة البشرية على تغيير الواقع ولانه لا يكفر بشىء كفره باسطورة حتميةالتاريخ وترديد بعضهم لمأساة الانسان فى عالم تدير شؤونه قوى ما ورائية عمياء ونواميس اقتصادية ومادية قاهرة » .

لذلك كان فى جهاده ملتزما بقضايا أمته متبنيا لنظرية : « الادب التزام أو لا يكون » مع اعطاء الالتزام محتوى ومفاهيم تتطور بتطور المفاهيم الحضارية للمجتمع الانسانى وقد قرن جهاده الفكرى بايمانه بالانسان والرهان عليه فى قدرته على تغيير ما به .

ولم تشغله تبعات الحكم ومسؤولياته الثقيلة عن هذه المبادىء فقد ظل يرفع من منزلة الانسان ويعلى شأنه وهو لا يفتأ يحرك سواكنه فيستفز مشاعره داخله ليزيل الغشاوة عن بصيرته فيعي ذاته ويتعرف على واقعه فيغير ما به فى إباء وشمم متحديا بذلك بسمة القاعدين ولمزة اللامزين وايمانه بقدرة الانسان على التغيير النابع من تصوره لمسؤولية الانسان وتحمله للرسالة فى هذا الكون تأمل فيما يقوله : « ان التاريخ ليس تعبيرا عصريا جديدا عن القضاء والقدر ونواميس الاشياء وانما هو جماع جهد الرجال الذين يعيشون من أجل هدف اسمى ويضحون فى سبيل مثل أعلى وهو ثمرة جهادهم ودليل حريتهم وعنوان مجدهم وسر عظمتهم » ثم انه لم يكن ليفتر عن صراع الانسان مع قوى الظلم والغي فى مختلف اصقاع العالم مستلهما كتاباته من نضال تونس وجهاد قادتها ما يكون قدوة للشعوب المستضعفة فى الارض كى

تحقق أملها المنشود فى الحياة هذا أقل ما يقال تجاه رجل أحب تونس فكان عطاؤه لها دون ما حدود .

● **إسناد جائزة بغداد الثقافية الى ميخائيل نعيمة وجاك بارك :**

وزعت منظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (الينسكو) أخيرا فى باريس لاول مرة جائزة بغداد الثقافية على كل من الاديب العربى الشهير ميخائيل نعيمة والمؤرخ الفرنسى المعروف جاك بارك .

واعرب السيد احمد مختار امبو المدير العام لمنظمة الينسكو فى كلمة ألقاها فى حفل توزيع الجائزة ــ عن اعتزاز المنظمة بهذه الجائزة التى تؤكد على استمرارية حضارة العراق فى وادى الرافدين دون الانكماش على ذاتها لتشع على مدى العصور .

كما عبر عن شكر واعتزاز الينسكو للحكومة العراقية التى قامت بهذه المبادرة الفريدة .

وأكد الدكتور عزيز الحاج ممثل العراق الدائم لدى الينسكو ان جائزة الينسكو ببغداد انبثقت من محورين ومنطلقين أساسيين أولهما كون الينسكو المنظمة الثقافية العالمية الكبرى لصيانة الهوية الثقافية للامم وحوار الحضارات والمنطلق الثانى يتأتى من طبيعة الثقافة العربية نفسها فهى تحافظ على اصالة عميقة تعتمد لغة القرآن الكريم وعلى ارث حضارى عريق موضحا ان منح جائزة بغداد للاديب ميخائيل نعيمة تأكيد جديد على عروبة لبنان ثقافة ومصيرا .

ومما يذكر ان الاديب ميخائيل نعيمة الذى لم يحضر الاحتفال لاسباب صحية ــ ولد فى بلدة بسكنتا اللبنانية عام 1889 .

وبعد اكمال دراسته فى أوربا هاجر الى أمريكا وهو يعتبر من عمالقة الادباء الذين وضعوا أسس النهضة العربية الحديثة وهو رفيق جبران خليل جبران.

كما ألف عشرات الكتب فى الفلسفة والمسرح والتاريخ والنقد وأشعت كتاباته على اقطار الوطن العربى وترجمت مؤلفاته الى العديد من اللغات الاجنبية .

اما المؤرخ جاك بارك فهو من مواليد الجزائر عام 1910 ويعتبر من كبار المختصين فى الفكر الاسلامى والدراسات العربية وله مؤلفات عديدة ويقوم حاليا بترجمة جديدة رائعة للقرآن الكريم الى الفرنسية .

● الاجتماع الاول للجنة استراتيجية تطوير العلوم :

لقد وقع اقرار استراتيجية الثقافة العربية والاستراتيجية العربية لتطوير العلوم والتكنولوجيا من قبل المؤتمر العام فى دورته غير العادية الاولى التى انعقدت عام 1978 بالخرطوم ، وفى نفس اجتماع المؤتمر العام المشار اليه تم اتخاذ قرارات للنظر فى وضع استراتيجية الثقافة العربية والاستراتيجية العربية لتطوير العلوم والتكنولوجيا وضمان انسجام الاستراتيجيات الثلاث وتكاملها .

وبعد اجراء الاتصالات اللازمة تشكلت لجنة استراتيجية العلوم بوضعها النهائى .

وقد اشرف السيد المدير العام الدكتور محيى الدين صابر على افتتاح اجتماع اللجنة ، ونوه فى كلمته بالاهمية الكبرى التى توليها المنظمة لاعمال اللجنة وقال : إن مشكلتنا الاساسية فى الوطن العربى هى مسألة التخلف التنموى وبالتالى غياب التكنولوجيا فى الوطن العربى ، وانه علينا ان نواجه عدة قضايا منها الملاءمة بين حضارتنا ومعطيات التنمية الحديثة والاحتكار والتبعية والقدرة على الحفاظ على قيمنا الاصيلة التى نملكها .

وقد ألقى الاستاذ محمد مزالى بيانا قيما استهله بالتعبير عن الشرف الكبير الذى ناله بالاشراف على افتتاح المؤتمر تلبية للدعوة التى وجهتها اليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ورحب باسم المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة وباسم تونس حكومة وشعبا بالمشاركين متمنيا لهم النجاح والتوفيق فى درس المسائل الهامة المدرجة فى جدول اعمالهم .

● المؤتمر الثانى لوزراء التعليم العالى والبحث العلمى العرب :

احتضنت تونس من 20 الى 23 أكتوبر 1983 المؤتمر الثانى للوزراء المسؤولين عن التعليم العالى والبحث العلمى فى الوطن العربى الذى بحث على امتداد اربعة ايام جملة من المواضيع المتصلة بقطاع التعليم العالى فى الاقطار

العربية وخاصة منها تعريب التعليم العالى ومشروعى انشاء جامعة عربية للدراسات العليا والبحث العلمي ومؤسسة عربية للتعريب والترجمة والتأليف والنشر . وقد اشرف على تنظيم المؤتمر ادارة التربية بالالكسو بالمنظمة .

وحضر جلسة الافتتاح السيد محمد مزالى والشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس وزراء دولة الحرين ، وكذلك السيد محمود المسعدى رئيس مجلس النواب فى تونس والدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة والسادة وزراء التربية والتعليم العالى فى الوطن العربى وممثلو المنظمات العربية والدولية .

● **المركز العربى للتعريب والترجمة والتأليف والنشر :**

ان **مؤسسات** الترجمة والتأليف فى الاقطار العربية بصفة **عامة هى انجاز** أساسى لاجل التعريب الشامل وهى نوعان :

① **مؤسسات** حكومية ، وهى ادارات انشأتها وزارات **الثقافة والاعلام** والتعليم العالى أو المجالس المختصة بالعلوم والآداب والفنون .

② **مؤسسات** خاصة ، وهى دور النشر التى تعمل فى حقل **الترجمة والتأليف** بمثابة نشاط ثقافى اقتصادى يستهدف الربح السريع .

ومن الجدير بالذكر ان بعض هذه المؤسسات ولا سيما الحكومية منها قد قامت بعمل نافع ، ومع ذلك فان حجم الانتاج ترجمة وتأليفا لم يزل دون الحد المطلوب سواء بالقياس الى عدد السكان او بالقياس الى الحاجات الفكرية والتعليمية ، ويغلب على هذه المؤسسات الطابع القطرى تخطيطا وتنفيذا ، تمويلا وتوزيعا ، وما زال التعاون العربى فى هذا المجال فى حده الادنى احيانا ويكاد ينعدم أحيانا أخرى .

ولقد ادركت البلدان العربية منذ زمن ضرورة قيام هذه المؤسسة ، وما تزال ذكرى ــ بيت الحكمة ــ فى بغداد تنعش الامال وتغذى الطموح .

وقد قامت وحدة الترجمة فى المنظمة باعداد دراسة اولية تفصيلية عن واقع الترجمة فى الوطن العربى ، والعمل جار لاستكمالها والتوسع فيها ، ووضعت

مشروع خطة قومية للترجمة عرضته المنظمة على مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية فى دورته الثالثة المنعقدة فى بغداد 1981 فوافق عليه من حيث المبدأ ودعا المنظمة الى استكمال جوانبه فى ضوء مزيد من الدراسات والمعلومات .

وقد بادرت تونس تدعيما لهذا الاتجاه الى تأسيس بيت الحكمه (المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات) وكانت الدورة الاولى للمجلس العلمى المنعقدة فى 6 ديسمبر 1983 إيذانا ببدء عمل هذه المؤسسة التى ستكون لبنة فى صرح الثقافة العربية خاصة والانسانية عامة .

● « إعلام فى خدمة الشعب » لرئيس وزراء تونس محمد مزالى :

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « الشرق الاوسط » بتاريخ 1983/11/15 مقالا جاء فيه ما يلى :

اصدر جهاز الصحافة والتوثيق فى تونس كتابا بعنوان « إعلام فى خدمة الشعب » . وقد وصفته بأنه « مجموعة خطب ألقاها الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول » .

والكتاب الجديد الذى يقع فى 67 صفحة من الحجم الوسط ، يضم اضافة الى المقدمة ، أربع خطب وهى : الاعلام والتوعية ، مسؤولية الاعلام العربى ، وظيفة الاعلام فى المجتمع ، فى سبيل إعلام افريقى مستقل . اضافة الى الحوار الذى أعقب القاء الخطب .

الخطبة الاولى ألقاها رئيس الوزراء التونسى فى الاحتفال بالذكرى العشرين لتأسيس وكالة تونس للانباء يوم 30 كانون الثانى (يناير) 1981 . ومما ورد فى هذا الفصل: «إن الوعي فى معناه الاصيل هو الرابطة الاساسية بين الحقوق والواجبات ، وليس يعني مداعبة الرغبات أو إثارة الاحقاد والفتن والنزعات القبلية أو الجهوية» . وروى الخطيب بعضا من ذكرياته الصحافية فقال :

« إن الرئيس - الحبيب بورقيبة - لم يتذاكر معى في شأن يخص المجلة طوال 26 سنة إلا مرة واحدة ، حين اصدرت عددا خاصا عن الاسلام لفت نظره فيه الحداد الذى مات كمدا عندما تألبوا عليه ، لم يقل عشر ما قاله هشام جعيط . مقال كتبه هشام جعيط ، فقال ان هذه مغامرة كبيرة أقدمت عليها . فالظاهر وكان يقول لى ذلك وهو فرح جذلان مما بلغته تونس من التطور الذهنى ، وكيف أصبح الناس يفكرون تفكيرا حرا وعميقا » .

« وظيفة الاعلام فى المجتمع » ، عنوان الفصل الثالث والاكبر بين فصول الكتاب . ويحدد المؤلف الوظيفة الاعلامية فى سياق الفصل على النحو التالى : « هى وظيفة اجتماعية ووظيفة انسانية . وهذه الوظائف تقتضى من الصحافيين ومن رجال الاعلام ان تكون لهم فسحة الامل وبعد النظرة وسداد التحليل ونزاهة التفكير وطول النفس ، حتى يجعلوا الاعلام فى العالم الثالث بالخصوص ، فى خدمة الشعب حقا ، وفى خدمة المثل العليا ، وفى خدمة الاهداف السامية » .

ويؤكد الخطيب فى ختام خطبته هذه التزامه بتلك المبادىء منذ أن أسس مجلته فى تشرين الاول (أكتوبر) 1955 «وحتى الآن» ويضيف مخاطبا سامعيه وبعضهم من رجال الاعلام : « قد تختلف معى فى الاتجاه . فهذا حق من حقوقك . ولكن اعطنى حقى فى ان أتمسك بآرائى ، ولنترك المجتمع يغربل ، والتاريخ يسجل » .

وبعد ... قد تكون كفة السلطة الاولى راجحة فى الكتاب على كفة السلطة الرابعة . ولا عجب . فالمؤلف هو الآن الوزير الاول فى الحكومة التونسية . ولكن الفرق فى الرجحان ليس كبيرا ، ولا عجب ايضا ... إذ ان المؤلف كان وما زال قطبا من اقطاب الصحافة فى تونس .

● **رجل السياسة والثقافة والفكر التونسى فى خدمة الشعب :**

تحت هذا العنوان نشرت مجلة « النهضة الكويتية » بتاريخ 1983/11/19 مقالا بقلم الاستاذ عبد الله الشيتى جاء فيه ما يلى :

كتابان معا ، صدرا مؤخرا فى تونس للاستاذ محمد مزالى الوزير الاول « رئيس مجلس الوزراء التونسى » ورجل السياسة والفكر والثقافة فى البلد الشقيق ، وصاحب نظرية وتطبيق التنمية الثقافية » فى ميزانية الدولة لانها أساس جميع المخططات التنموية والمشروعات النافعة والهادفة عبر اتصال الفكر والثقافة بمختلف ميادين الحياة الاخرى .

والكتابان الجديدان الصادران للاستاذ مزالى هما : « فى سبيل وحدة المغرب العربى الكبير » و « إعلام فى خدمة الشعب » ، وهذان الكتابان الوثائقيان عبارة عن مجموعة محاضرات ثقافية وسياسية أو أحاديث صحفية أو مقابلات اذاعية أو مقالات كتبها المؤلف بقلمه ، فجاءت المعالجات الموضوعية التى عرض لها الكاتب الكبير مدير مجلة « الفكر » ، ومؤسسها معبرة أصدق

تعبير عن فكر ورأى الرجل المسؤول ومجسدة طموحاته وآماله وجهوده الطيبة ، فى اطار العمل والحلم بتحقيق وحدة المغرب العربى الكبير . وتوضيح دور أجهزة الاعلام فى خدمة الشعب .

ويرى الصديق رضا بن سلامه المسؤول فى مكتب الوزير الاول وقد اهدانى هذين الكتابين ، انهما مرجع دقيق ومورد عذب ، لكل من يريد العودة اليهما، او ان يستقى منهما ما يشاء من معلومات وافكار ناضجة وتجارب رائدة ، والحق انى استمتعت بمطالعة الكتابين ـ كل واحد على حدة ـ ووجدت بينهما الترابط الفكرى والنفسى والجمالى ، من خلال نظرة المؤلف المستقبلية لكلا القضيتين اللتين تصدى لهما بشجاعة وحيوية واقتدار : «وحدة المغرب العربى الكبير» من جهة و « الاعلام فى خدمة الشعب » من جهة أخرى ويمهد المؤلف لفكرة المغرب الكبير ـ وهى الدعوة البورقيبية المشهورة ـ بالقول فى مستهل كتابه : « والاقرباء أولى بالمعروف ، ونعنى القرابة فى المكان ، كبلاد المغرب الكبير أو بلاد الخليج ، مثلا فقد يكون من الايسر ان تقام بين المجموعات القليلة أواصر تعاون وثيق ، يتدرج فى اطار أوسع لا بد أن يشمل بصورة من الصور ، البلاد العربية كافة !

وعلى الصفحة « 48 » يعرف حرية الصحافة بايجاز قائلا : « وفى اعتقادى ان حرية الصحافة ، ليست مسألة قانون أو نصوص ، بل هى تكمن فى شخص كل واحد منكم بصفتكم مواطنين ، فانا كمواطن امتلك حريتى وافرضها على نفسى وعلى غيرى اذا عرفت كيف اربط بين حقوقى وبين واجباتى » !!

لقد اشتمل كتاب السيد مزالى عن الصحافة والاعلام على عديد من الفصول والأطروحات الجادة ومن خلال تجربة المؤلف الحية والمباشرة وما يتصف به من عمق فى التفكير وشفافية فى الرؤية واقتدار فى التعبير والتاثير وهو ما اضفى على منصبه الرسمى السياسى الرفيع صفات أدبية وفكرية واجتماعية نادرة ، تزيد من مكانته وتقديره فى صفوف مواطنيه والمعجبين به وانصار فكره ونهجه الكثيرين وهما فكر ونهج يصبان فى القنوات البورقيبية منهجا ومسلكا وفلسفة حياة ورؤى .

ويستوقفك فصل « مسؤولية الاعلام العربى » حين يواجه الاستاذ مزالى بلدان العالم العربى ـ بصراحته وصدق وعيه ـ هذا العالم ـ وسط ما يعانى من تمزق وخلافات وصدامات وتناقضات ، لكى يستجمع شجاعته ووحدة

أمانيه ويجمع شتاته ويمارس اعلاما حضاريا ذكيا وايجابيا لا اعلاما متخلفا وسلبيا ، ويحدد الاساليب والطرق اللازمة لذلك ، بمثل ما اوضح الطريق الصحيح نحو تحقيق الحلم الكبير : حلم وحدة المغرب العربى الكبير .

والاحلام تتحقق عادة ، اذا ما حسنت النوايا وصدقت الافعال فليوفق الله رفقة الطريق الى ما يحب ويرضى .. وتحية « للوزير الاول » فى تونس وزير فكر وثقافة وطموحات كبيرة ، فى حجم الحلم والامل والتمنيات .

عبد الله الشيتى

● **مزالى ووحدة المغرب العربى :**

صدر فى جريدة « الرياض » تحت عنوان : « مزالى ووحدة المغرب العربى » بتاريخ 1983/11/22 مقال بقلم الاستاذ حسن بن الحاج نصر جاء فيه قوله :

« اعتقادى ان الشعوب المغربية مؤمنة بحتمية المصير المغربى المشترك وان التضامن المغربى فى صف الجماهير المغربية حقيقة اجتماعية كامنة حية ، وان لنا فى هذه الشحنة الطيبة من التآخى والتعاطف انفع دواء واقوى سلاح لمجاوزة المشاكل القائمة بيننا ، واثبت دعامة وأوسع زادا لنيل ما نروم من اهدافنا المشتركة » .

هذا الرأى الشديد الايمان بحتمية وحدة المغرب العربى الكبير ، طال الزمان أم قصر ، هو للاستاذ محمد مزالى الوزير الاول التونسى ، وقد جاء هذا الرأى ، وعدة مواقف اخرى تدعمه ، فى كتاب جديد اصدره جهاز الصحافة والتوثيق بالوزارة الاولى فى شهر سبتمبر — ايلول الماضى ، وهو عبارة عن دعوة البلدان المغربية لتتحد فى الجهاد أولا ثم فى بناء الكيان الاسلامى .

ومنذ الفتح اصبح عامل الدين عامل توحيد قويا يكفى وحده لانبات الايمان بوحدة المصير .

هذا فيما يتعلق بالمغرب وبقدم فكرة بنائه ورسوخها فى ضمائر ابنائه .
اما البعد الثانى فى الكتاب — الوثيقة ، فهو ان ايمان الاستاذ مزالى بهذه الحتمية لم يكن وليد الظروف السياسية او بسبب وجوده على رأس حكومة فشلت تجربتها « الانفصالية » فاضطرت الى التعامل مع جيرانها اضطرارا كما قال البعض بل ان هذا الايمان اخذ يترسخ مع وعى مزالى السياسى والفكرى

أى منذ ان كان استاذا شابا يكتب فى صفحات مجلة « الفكر » التى بعثها هو بنفسه عام 1955 والتى ما زالت تؤدى رسالة فكرية وثقافية هامة ، وتملأ فراغا كبيرا فى حياة المثقفين التونسيين . لذلك فان اولى الوثائق المنشورة بالكتاب وعددها 33 مقالا أو محاضرة أو مقتطفا من خطاب أو استجوابا صحفيا ، يعود عهدها الى عام 1957 يوم ان كانت الجزائر تعانى من الاستعمـار الاستيطـانى فتجد كل الدعم لدى جارتيها تونس والمغرب اللتين لم تستكملا استقلالهمـا بعد فى ذلك التاريخ نظرا الى الشروط التى وضعتها فرنسا . وهكذا كانت مجموعة من الوثائق والمقتطفات كان كتبها مزالى فى فترات مختلفة من حياته السياسية والفكرية ، ويبرز فيها تعلقه وتعلق ابناء المغرب العربى مثله بهذا الحلم الكبير الذى يأمل الجميع فى تحقيقه وان بدا ذلك صعبا او حتى مستحيلا فى بعض الظروف نظرا الى طغيان التناقضات الظرفية .

والواقع ان هذا الكتاب الجديد بقدر ما يخدم السيد محمد مزالى كرجل فكر وكمسؤول سياسى ، يلعب دورا هاما فى تقريب وجهات النظر المغربية تمهيدا للتكامل وللوحدة بدلا من التنافس والفتت، بقدر ما يخدم فكرة المغرب العربى بزيادة ترسيخها وبتوضيح عمقها وامتدادها فى التاريخ ، فهو يبرز انها قديمة قدم انتشار الاسلام فى الشمال الافريقى . فالاستاذ مزالى يقـول فى احـدى محاضراته المنشورة بالكتاب ما معناه : « ان شعوب المغرب العربى كانت طيلة الفترة السابقة للاسلام مغلوبة على أمرها رغم شعورها بالتقارب والتطـابق ، وذلك بحكم سيطرة الروم والبيزنطيين وغيرهم عليها » ، ويواصل قائـلا :

ثم جاء الفتح الاسلامى فكانت الفرصة الوحيدة التى أتيحت لهـذه الارض معظم الوثائق والمقالات التى تتعرض لموضوع المغرب العربى فى الفترة الفاصلة بين 1957 و 1963 مركزة على النضال الجزائرى ووجوب دعمـه أو على ابـراز أهمية الانتصار الذى حققته الجزائر بتخلصها من المستعمر واللحاق بجارتيها.

وهناك جانب آخر فى هذا الكتاب تجدر الاشارة اليه ، وهو المتمثـل فى شمول النظرة الى الوحدة المغربية على اعتبار انها لا تكون وليدة قرار سياسى أو بيان مشترك يمكن الاتفاق بشأنه فى ظرف سويعات . بل انها ثمرة عمل طويل النفس يشمل قطاعات الثقافة والتربية والاقتصاد والسياسة والاعلام وكل ما له صلة بالمجتمع . لذلك فقد جاء العمل السياسى الذى ما انفك يقدمه مزالى لصالح الوحدة المغربية منذ توليه الوزارة الاولى فى افريـل / نيسـان 1980 متماشيا مع نظرته الفكرية التى بقى وفيا لها منذ شبابه .